434

HARLEQUIN

روايات أحلام

غرقت في عينيه

كيم لورنس

www.elromancia.com

مرمورية

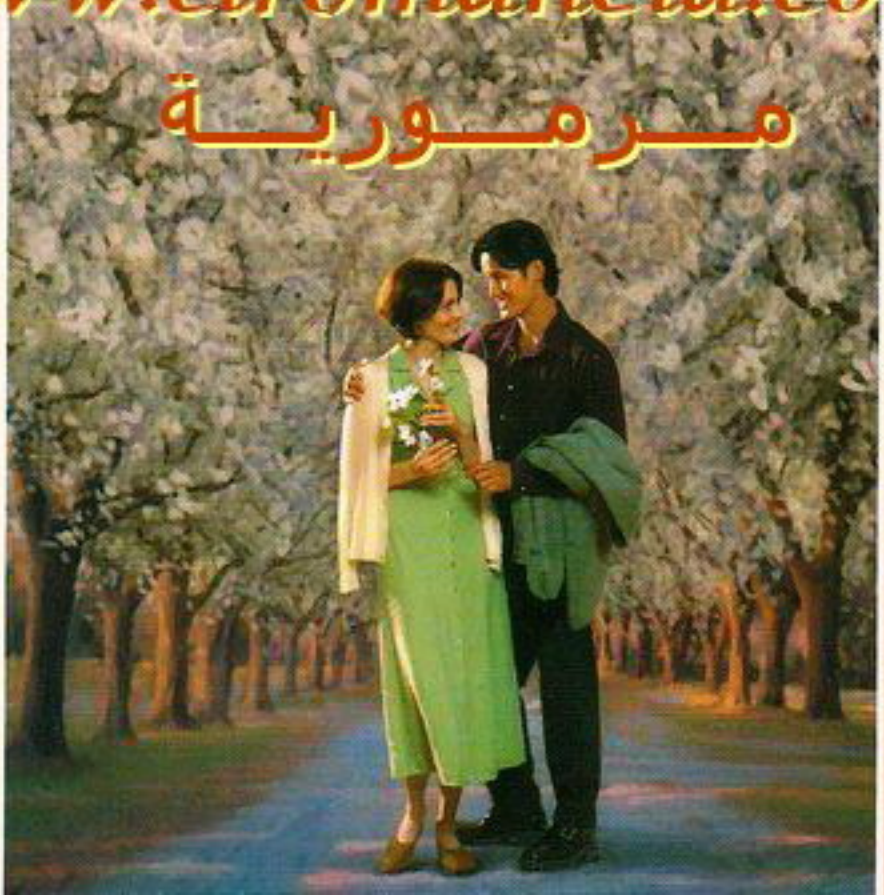

غرقت في عينيه

بعد أربع وعشرين ساعة فقط على لقائها بالمليونير اليوناني الوسيم ماثيو ديمتريوس ، انقلبت حياة روز رأساً على عقب.

ماثيو مقتنع أن روز هي المرأة نفسها التي طردها من غرفته في الفندق منذ بضع سنوات. وهو يظنها امرأة فاسقة.

إلا أنه بحاجة إلى زوجة الآن، وروز تبدو ملائمة لهذا الدور.

وبعد أن وضع خاتمه في إصبعها واستدرجها إلى سريره.

اكتشف ماثيو أنها ليست المرأة التي في خياله. هذه المرأة أخطر بكثير!

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-402-2

كيم لورنس

تقيم كيم في مزرعة ريفيّة في قرية «أنغلسي». تمارس رياضة الجري كل يوم، فتركض مسافة ميلين، وهي تجد في ذلك فرصة لتنشّق الهواء النقي والبحث عن وحي لكتاباتها! تساعدها هذه الرياضة على مجاراة زوجها وابنيها النشيطين ومجموعة الحيوانات الأليفة المحيطة بهم. تعشق كيم قراءة الروايات الخرافية، وهي تحب الكتابة والتأليف بالمقدار نفسه، وتروقها النهايات السعيدة!

١ - بداية الشوط

لم تهتز قامة أندريوس ديمتريوس المنتصبة بالرغم من الدوران السريع لشفرات المروحيّة التي ترجّل منها لتوّه. نظر حوله بعينيه الدّاكنتين اللتين انبعثت منهما نظرات ثاقبة مركزة على مسؤول الاستقبال، وهو رجلٌ أصغر منه سناً يقف قرب مكان إقلاع وهبوط المروحيّة.

نمّت نظرة أندريوس هذه عن إزدراءٍ متعمَّد، لكن لا شيء في تعابير الرجل الآخر أوحى بأنّه شعر بالإهانة من جرّاء تلك الحركة، بينما أدار أندريوس ظهره إليه بوضوح.

لا أحد يمكنه تجاهل ماثيو ديمتريوس، إذ ليس الأمر مقتصراً على طوله الذي يزيد عن الستة أقدام، أو وجهه الوسيم الملفت بمنظره الجانبي الكلاسيكي. ما يملكه ماثيو لا يمكن قياسه، إذ إنه يتمتع بتلك الطبيعة النادرة التي يتعذر وصفها، والتي تعلن بقوة: «أنا موجود».

حين يتكلم ماثيو، يصغي إليه الآخرون بشغف، وحين يدخل غرفة، فهو يلفت الأنظار كلياً. فالناس يراقبونه دوماً، وهم ليسوا مثل أبيه. ذلك الأب نفسه الذي كان في تلك اللحظة يعطي التعليمات السريعة المقتضبة للرجل الذي يضع النظارتين والذي نزل لتوّه معه من المروحية.

لم تظهر ملامح ماثيو الأرستقراطية أي إشارة لمشاعره. استراحت لغة جسده بينما هبّ تيار هوائي متصاعد بسبب دوران شفرات

www.elromancia.com

المروحية، فألصق قميصه الرقيقة على جسمه، كاشفاً عن العضلات الواضحة المعالم لكتفيه وصدره.

الموظف الذي راح يومىء برأسه باحترام وهو يستمع إلى أندريوس كان الوحيد بين الثلاثة الذي تبدو عليه بوضوح ملامح عدم الارتياح، من جرّاء التوتر والعدائية في الهواء المحيط بالرجال الثلاثة.

جازف الرجل بإغضاب رجل الأعمال اليوناني حين أرسل إلى الرجل الأصغر سناً ابتسامة مترددة ملؤها العطف، بدا من الصعب معرفة ما إذا كان أحدهم قد لاحظ هذه الحركة أو قدرها. خلافاً لأبيه، فإن ماثيو غوتيير أو ديمتريوس، كما يجب عليهم أن يتعلّموا مناداته، حريص جداً على عدم الكشف عن مشاعره.

لو كان ماثيو ديمتريوس رجلاً من نوع آخر؛ لأخذه الرجل الأصغر سناً إلى جهة معينة وشرح له أنَّ تغيّر مزاج الرجل الأكبر، ولو بطريقة فجائية، يتحوّل مساره أحياناً إذا ما عرف المرء كيف يقرأ علامات الخطر.

لم يواجه رجل الأعمال اليوناني ابنه إلا بعد أن غادر الرجل الثالث. قرأ أندريوس التقرير الشامل الذي طلبه خلال الرحلة في الطائرة انطلاقاً من البر الرئيسي مرتين، إلاَّ أنه لم يجد أخطاء قط. بدا التقرير واضحاً وموجزاً. اهتزّ عصبٌ في فكّ أندريوس العريض بينما رَمَت عيناه الداكنتان المزدريتان الرجل الأصغر سناً بنظرة من رأسه حتى أخمص قدميه.

مرّة واحدة فقط قام أندريوس بخيانة عهد الإخلاص طيلة سنين زواجه من المرأة التي عشقها، وهو نادم على تلك اللحظة منذ ذلك الوقت. لكن ظهور الدليل الحسي لتلك الخيانة في صورة مراهق مقطب الجبين متحفظ لا يأبه للتقرب من أبيه الممتنع، ويبدو متفوقاً على أخيه غير الشقيق فكرياً ورياضياً، بدا أشبه بالكابوس.

يا للسخرية! تمكنتت زوجته التي خانها ميا من الترحيب بالفتى اليتيم الأم في منزلهم بدفء صادق، أما أندريوس فهو عاجز عن ذلك.

بدأ صوت محرّك المروحية يخف تدريجياً في اللحظة نفسها التي تشابكت نظراتهما: عينان ذات لون بني داكن وأخريان رماديتان.

بادر الرجل الأكبر سناً إلى خفض نظراته أولاً. تلوّن خداه وفكه العريض بلون يوحي بالغضب، حين خاطب ابنه قائلاً: «ستلغي رحلتك القصيرة إلى...».

فورةٌ من السخط اجتاحت ملامح أندريوس الداكنة وهو يفتّش في ذاكرته عن كلمات مجدية، وأضاف: «... أينما كنت ذاهباً».

لم يكن ثمة أثر للدفء أو العاطفة في طلبه الفظ هذا، لكن ماثيو لم يتوقع شيئاً على أي حال، إذ إنَّ أباه لم يظهر عاطفته يوماً. لكن قبل وفاة أليكس، لم يكن أندريوس يبدي عدائية علنية واضحة كما يفعل الآن. حسناً! قبل وفاة أليكس منذ اثني عشر شهراً، استطاع ماثيو أن يعيش حياته من دون لقاء أبيه الأكبر، إلا أن وفاة أليكس غيرت الأمور.

- سكوتلاندا.

- حسناً! يمكنك تغيير خططك.

لم يكن هذا اقتراحاً، فرئيس شركات ديمتريوس الذي يملك اهتمامات أخرى في التكنولوجيا المعلوماتية والاتصالات لم يقدم يوماً اقتراحات.

عندما يتكلم أندريوس يهب الناس للاصغاء إليه وهم في دهشة وخوف، إلا أن متلقي هذا المرسوم الديكتاتوري لم يُبد أياً من علامات الدهشة والخوف. لم يحرك ماثيو ساكناً، أما تعابيره المبهمة فلم تنبىء بأي شيء.

لم يبدُ أندريوس مهتماً بدوره بإجابة ابنه. بعد إصدار القرار، بدأ الرجل الأكبر سناً يمشي برشاقة صعوداً نحو طريق ملتوية مرصوفة

بالمرمر تؤدي إلى مجمّع فيلات ضخمة من الحجر الزهري اللون.

كان أندريوس قد وصل إلى حدود الأراضي الطبيعية التي تحيط بالڤيلا حين تمكن ماثيو من الوصول إليه.

- إنني ذاهب إلى سكوتلاندا لأبقى مع صديق لي، وهذه الخطة ليست قابلة للتغيير.

هناك جزء واحد فقط من الرحلة مخصّص للهو، فقد طلب جايمي مساعدته لأن المصارف تضغط عليه، ما جعل الأملاك الجبلية التي ورثها صديقه عن أبيه العام الماضي مجهولة المصير.

استدار الرجل الأكبر سناً إلى الوراء، وبدا عليه تعبير معارض. ثمّ قال: «كنتَ ذاهباً! ستصل ساشا وأمّها غداً».

كبح ماثيو تنهيدة: «تعمدت إخفاء هذه الحقيقة حين دعوتني».

صدرت عن الرجل الأكبر سناً ابتسامة صغيرة، وعلّق: «ستشعران بالإهانة إن لم تكن هنا. تجمعنا روابط متينة تعود إلى أجيال عدة مع عائلة كونسطانطين. كان أبي و...».

قاطع ماثيو درس التاريخ هذا قائلاً: «ليس لدى تلك العائلة وريث شاب ليرث الممتلكات، فضلاً عن أنك تكره فكرة إفلات ثروة كونسطانطين من بين أصابعك القذرة».

ومضة غضب حوّلت ملامح الرجل الأكبر سناً إلى ملامح داكنة، وما لبث أن أطلق زفرة من أعماق صدره: «وأفترض أنك ستنظر إلى المسألة بازدراء».

- لست مستعداً لأتزوّج من فتاة تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً لأحصل على ذلك الميراث.

فتاة عقدت خطوبتها من قبل على أخيه الأصغر سناً! حين سمع ماثيو خبر الخطوبة لأول مرّة، رأى الأمر من منظار ساخر. فالأمر لا يتعلق بزواج جيد بل بمشروع لدمج الشركتين. إلاّ أن نظرة ماثيو تغيّرت

حالما رأى الشاب والشابة معاً، إذ بدا واضحاً أنهما مغرمان ببعضهما البعض.

- ساشا فتاة ذات تسعة عشر ربيعاً، لكنها ناضجة، وأنت يمكنك فعل ما هو أسوأ من هذا بكثير. على سبيل المثال، ما قصة تلك الممثلة التي ظلت ملتصقة بك أثناء العرض الأولي للمسرحية؟ ما كان اسمها؟

لم يشرح له ماثيو أن الأمر كان مجرد عمل مثير قُدم للمسرح بهدف كسب شعبية لفيلم بميزانية منخفضة، بل صرف النظر عن التحدث عن النجمة الصغيرة بهزّة كتف تظهر الازدراء، وقال: «ليس لديَّ أدنى فكرة».

فالمرأة كانت ولا تزال غريبة تماماً عنه، بالرغم من عرضها لتظهر له مدى امتنانها. هذا العرض الذي رفضه ماثيو مقدماً لها شكره.

- قرأت أن خطط الزواج هي في مراحل متقدمة.

أصبح جبين ماثيو داكناً من جرّاء السخرية الظاهرة في صوت أبيه، لكنه ردّ باستخفاف: «لو كنت مكانك أندريوس، لأعدت النظر في نوع الجرائد التي أقرؤها».

- أنتَ لست أنا.

- ولا حتى نسخة شبيهة بك.

يعرف ماثيو أنه يشبه أمه، ولطالما تساءل ما إذا كان النظر إليه يذكر أباه بالفتاة اليافعة التي أقام معها علاقة قصيرة ثم نبذها.

- إذاً، ليست لديك خطط من هذا القبيل. ألست مغرماً؟

لم يكن ماثيو مغرماً أو يسعى إلى الحب فعلاً. على العكس من ذلك، لو أنه رأى الحب قادماً نحوه، فسوف يركض في الاتجاه المعاكس. لطالما فكر أنه مجرّد شكل من الجنون المؤقت.

لم يكن الوقوع في الحب على لائحة الأشياء التي أراد ماثيو فعلها.

- لا أعرف ما شأنك بهذا الموضوع، بغض النظر عن تصوري أن

هناك أقداراً أسوأ من التزوّج بمراهقة، حتى لو كانت ناضجة.

اكفهر وجه أندريوس وقال: «أنا لا أطلب منك أن تتزوّج من الفتاة».

- لكنك لن تشعر بالاستياء إذا تزوجتها، فأنت تغتنم كل فرصة لتجمعنا معاً.

نظر أندريوس إليه بوجهه الداكن المفعم بالإحباط وقال: «الفتاة هي ابنة أسيلي الوحيدة ووريثته. يمكن لزوجها أن . . .».

رفع ماثيو يداً ليهدىء دفق الكلمات، وعلق: «لا أريد أن أكتشف هذا، لا سيما أنك المسيطر على هذا الوضع».

صاح أندريوس: «لا تنظر إليّ بازدراء».

وأردف: «هل تدعي أنك لا تستطيع جعل هذه الفتاة تحبّك إذا اخترت أن تفعل؟ رأيتك مع نساء كثيرات».

- إنها ليست امرأة، هي مجرد فتاة صغيرة.

- بدت مناسبة تماماً لأخيك.

- كانا مغرمين ببعضهما.

- استحوذت على كل ما لديه، لِمَ لا تستحوذ على امرأته؟

ظلّت الكلمات عالقة في الهواء مسببة التوتر بينهما إلى أنّ هزّ ماثيو كتفيه، وقال: «لم أرد أي شيء من ألكس قط».

ما عدا جزء من حب والدهما . . إلاّ أن تلك الرغبة لم تَدُم إلا إلى حين بلغ ماثيو عامه السادس عشر. كان قد مضى على معرفته بوالده سنة واحدة حين سمع صدفةً حديثاً جعله يدرك ما هو مستحيل حصوله.

انجرفت أفكار ماثيو إلى تلك الحادثة. كان يمشي بجانب باب مشقوق، وما جعله يتوقف خارجاً هو سماع اسمه إلى جانب الغضب والإحباط في صوت زوجة أبيه الناعم عادة.

- يحاول الصبي جاهداً. هو يفعل كل ما تطلبه منه وأكثر. ألا

يمكنك توجيه كلمة تشجيع له بين الفينة والأخرى؟ أستموت أندريوس إذا ابتسمت له؟ كلّ ما يريده ماثيو هو استحسانك له. هو يتوق إلى ذلك. أستطيع رؤية هذا الشعور في عينيه حين ينظر إليك، وهذا يجرح قلبي.

- ما ترينه في عينيه طموح مزيَّف، ميا. لِمَ لا تستطيعين رؤية هذا؟ إنّ الصبي صعب المراس، إنه يواجهني بعناد.

- لطالما قلت إنك تتمنى لو يواجهك ألكس أكثر.

- ليس الأمر مشابهاً. لا يحتاج ماثيو إلى الحب والقبلات، بل يحتاج إلى يد صارمة.

- إنه قطعاً لا يحتاج إلى يد تُرفع في غضب، قلت لك هذا سابقاً. إذا قمت يوماً . . .

- لا! بالطبع لا. قلت لك إنني آسف على ما فعلته ميا. أنتِ تعرفين أنني لم أرفع يوماً يدي على ألكس. الأمر هو أنه حين كذب ماثيو، وضُبط بكذبته، رفض الاعتذار.

- حباً بالله أندريوس! هل أنت أعمى؟ ألكس هو الذي كسر تمثالك الثمين، وكان خائفاً جداً ليعترف بخطئه، فوقع اللوم على ماثيو.

- لا، لا، أنتِ مخطئة. لا أعرف القصة التي أخبرَها لك، لكن . .

- ليس ماثيو. هو لم يتفوه بكلمة، ألكس هو الذي أخبرني عن الضرب وعن التمثال المكسور.

- آه! تباً لهذا الصبي! جعلني . . . الأمر هو أنه حين ينظر إلي، أتمنى لو أنني لم أولد قط.

سمع ماثيو ما يكفي، فانطلق بحياته في طرق متعددة. تألم حينها من سماع الحقيقة، لكن كان من الأفضل مواجهة الواقع بدلاً من العيش في أمل مزيّف.

- عليك أن توصل اعتذاراتي إلى الآخرين، إذ يجب أن أذهب إلى

سكوتلاندا.

علا عنق الرجل لون داكن حتى أصبح وجهه مغموراً بلون الغضب.

الحقيقة هي أن ماثيو عاد بعد سنة واحدة، وذلك بطلب من زوجة أبيه لا من أبيه.

توسلته قائلة: «ابقَ سنة هنا».

وأضافت: «أبوك يحتاج إليك بالرغم من أنه لم يعترف بذلك أبداً».

رفض ماثيو أن يحطم الوهم الذي يختلج في عقله، وهو اهتمامه بما يحتاجه أبوه، ولا سيما حين أضافت: «وحين أرحل، سيحتاج إليك أكثر، إن الشركة والعائلة...».

فكرت ملياً وهي تقلّب عينيها بأسف حين تكلمت عن عشيرة ديمتريوس، ثم أردفت: «كلاهما يحتاج إلى يد قوية في الإدارة. وكان أبوك يعدّ أخاك لهذا الدور».

طافت ذكرى مؤثرة في رأس ماثيو؛ ألكساندر يمسك يده بيده، ويقول بجدية: «أريد أن أصبح مثلك تماماً ماثيو حين أكبر، حتى لو كرهني أبي».

كذب ماثيو قائلاً: «لو أن الأمور اختلفت، لفعلها ألكس بمهارة».

ابتسمت ميا، وهزّت رأسها قائلة: «أقدر إخلاصك، لكننا نعرف أن هذا ليس صحيحاً. لطالما كره ألكس الإدارة، حاول بالطبع أن يرضي أباه، لكن...».

ثم هزّت كتفها، وأردفت: «كان على أندريوس أن يقبل في أحد الأيام فكرة أن ألكس لن يأخذ مكانه أبداً، لكن مع الأسف لم يأتِ ذلك اليوم قط».

حين تحرك ماثيو ليطوّق ميا، مخبئاً دهشته لضعف بنيتها الهشّة، خطفت يده وأمسكتها بقوة وقالت بنبرة حادة: «عِدني ماثيو أن تساعده حتى لو لم يطلب مساعدتك».

أعطى ماثيو وعداً، وبقي بعد أن وفى بوعده. ليس بدافع الواجب، بل بدافع تمتعه بما يفعل رغم كل الخلافات.

رفع أندريوس قبضة يده المطبقة، ونظر إلى الرجل الأصغر سناً بنفور، وقال: «أيها العاق! ستفعل ما أقوله أو...».

ازداد هدوء ماثيو بمقدار موازٍ لغضب أبيه الشرس، ورفع حاجباً يدل على الاستهجان، ثم سأله: «أستحرمني من الميراث؟».

- وهل تظن أنني لن أفعل؟

- الامر يعود إليك.

أطلق أندريوس ضحكة عالية هازئة، وهزّ رأسه سائلاً: «أتتوقع أن أصدق أنك غير مهتم؟».

ثم أضاف: «أتدعي أنك غير مهتم لخسارة امبراطورية تساوي الملايين؟».

أجاب ماثيو بهدو: «لا أسألك أن تصدّق شيئاً».

وأردف: «الإمبراطورية هي لك، تعطيها لمن تشاء، أعرف أنك أردت أن تعطيها لألكس».

- لا تجرؤ على لفظ هذا الاسم. كان يساوي عشرة أشخاص منك.

أكمل ماثيو بوقاحة بصوته الهادىء نفسه، وكأنما لم تحصل أي مقاطعة.

- هذا لم يعد ممكناً. لقد مات ألكس.

لمعت صورة ابتسامة أخ ماثيو غير الشقيق في رأسه، ولبرهة بدا إحساسه بالخسارة قاسياً ومرهفاً جداً، إلى درجة أنه لم يستطع التكلّم.

كان يمكن لألكس أن يمتعض من أخيه الأكبر غير الشرعي الذي ظهر فجأة كالوقواق في العش الذهبي، لكنه لم يفعل. كان مزاج ألكس مشرقاً وسخياً كابتسامته.

قال ماثيو بكآبة: «أنا الابن الوحيد الذي بقي لك».

وأضاف: «أنت تتمنى أن تحوّلني إلى شخص آخر يشبهك».

أظهرت ابتسامة ماثيو لا مبالاة كلية لاسم العائلة اللامع الذي ورثه. اختار متعمداً أن يستعمل اسم عائلة أمّه حين بدأ مهنته في سباق السيارات «الفورمولا ١» ليبعد نفسه عن كل ما يذكره بأبيه.

- حسناً! أنا لست مهتماً باسمك... بمسارك... بإمبراطوريتك. لدي اسمي الخاص، ولست ولداً مطواعاً أبي. لقد تقولبت في مختلف الأحوال والظروف على ما أنا عليه اليوم منذ مدة طويلة.

تحوّل اللون الزهري في خدي الرجل الأكبر سناً إلى لون أحمر مُنذِر بالخطر.

- ليس خطئي أنني لم أعلم بوجودك، إنه خطأ أمك... جلبتُكَ إلى منزلي بعد موتها.

- كان اسمها فيليسيت، وليس لك الحق بالتكلم عن أمي. فقدت هذا الحق منذ سنوات بعيدة.

ارتخى فك الرجل الأكبر سناً، فهو ليس معتاداً على تلقي الأوامر، كما أنه ليس معتاداً على رؤية وهج الشغف في عيني ابنه الذي لم يعرف بوجوده إلا بعد بلوغه سن الخامسة عشرة.

- أعطيتك كل شيء.

ما عدا الحب.

- أنا لست الابن الذي تريده...

هزّ ماثيو كتفه وأكمل: «... وأنتَ لستَ الأب الذي كنت سأختاره...».

ثم أردف: «... وفي الواقع، أنا الابن الوحيد المتبقي لديك».

أجفل الرجل الأكبر سناً، كما لو أنه تلقى ضربة، فيما أضاف ماثيو بصوت ألطف: «نحن الاثنان نتمنى عكس ذلك».

انفجر الغضب في عيني الرجل الأكبر سناً، وردَّد ما قاله ماثيو، فيما

التوت شفتاه بشكل ينم عن تكشيرة ازدراء: «نتمنى عكس ذلك؟».

ثم أردف بمرارة: «موت أخيك جعلك تصبح الوريث الوحيد.. نعم! دموعك بدت غزيرة في ذلك الوقت».

لطالما حاول الاثنان تجنب الحديث في هذا الموضوع، وهذه المرة، تماماً كالمرّات السابقة، كان ماثيو هو الذي تراجع، بالرغم من أن عواطفه بدت واضحة ومتوهجة للحظة قبل أن يجيب: «نحن الاثنان نتمنى لو أن ذلك لم يحصل، لكن هذا هو الواقع الذي نجد نفسينا فيه، لذا أقترح أن نتعلّم كلانا التكيف مع الوضع الحالي».

- كيف تتجرأ على التحدث إليَّ بهذه الطريقة؟

تعلم ماثيو أن إظهار الانفعال يعطي الآخرين موقع القوة. لكن لمرة واحدة فقط، انزلقت سيطرته الحديدية، وفاضت انفعالاته.

- أتقصد بالطريقة التي لا تماشي مزاجك؟

أجفل أندريوس بوضوح من وهج الغضب المطبوع في كل خط من ملامح ابنه الأرستقراطية.

- أعطيتك كل شيء.

- فعلت ذلك بدافع الواجب، لأنك مُكره على القيام به. تتحملني لأن تلك كانت أمنية ميا قبل مماتها. ألم تلاحظ أبي أنَّ تلك هي حالي أيضاً؟

بدا واضحاً من تعابير الرجل الأكبر أنه لم يفعل، فيما تابع ماثيو: «لطالما كانت ميا لطيفة معي، بالرغم من أن وجودي سبب لها ألماً بلا ريب».

وجاهد كي يستعيد سيطرته على نفسه، ثم أضاف: «... لم أغادر بعد مماتها احتراماً لأمنيتها فحسب».

صمت الرجلان بينما راحا يتذكران في الوقت عينه الأشهر الأخيرة المؤلمة لحياتها، تلك الأشهر التي احتملتها ميا بكرامة وصبر لا مثيل

www.efromancia.com

لهما، الأمر الذي اعتصر قلب كل من حظي بالبقاء قربها.

- الأمر الوحيد الذي جاء لصالحك هو أنَّ امرأة كهذه أمكنها أن تحبك، فقد رأت على الأرجح فيك شيئاً لم أره أنا. سأغادر إلى سكوتلاندا غداً، وافعل ما شئت أبي.

٢ - عملية إنقاذ

أجمعت آراء أهل روز وأصدقائها على أنها فقدت عقلها. فكر الجميع أن لا أحد يتخلى عن حياة مريحة في العاصمة، وعن مهنة رائعة يستمتع بها، ليدفن نفسه في مكان يبعد أميالاً عن كل ما يمت للحضارة بصلة، إلا إذا كان مجنوناً تماماً.

شقيقة روز التوأم، ريبيكا، لم تصدق أنَّ شقيقتها التوأم متحمسة بجدية لفكرة انتقالها هذه. وما إن واجهت كتاب استقالة شقيقتها، حتى اتبعت مسلكاً قاسياً.

- رد فعلك هذا يتجاوز كل الحدود روز. وقوعك في حب رب عملك ليس جريمة!

أجفلت روز لمجرد ذكر ستين لاتيمور، واعترضت: «بيكي!».

مزّقت ريبيكا ذلك الكتاب، وبسطت يديها كأن حركتها هذه سوَّت الأمور. فهمت روز سبب تصرف ريبيكا هذا. إنها حالة نموذجية لشخص يؤمن بأهميته وتفوقه على الدوام. فمنذ صغرهما، يعترف الجميع بأن ريبيكا هي الأكثر تباهياً، لذا دعوها التوأم المسيطرة. وأغلب الظن أن زوج ريبيكا، نك، هو الذي أدرك دون غيره القوى المحركة لعلاقة التوأمين.

تبصّر الرجل النيويوركي اللبيب في الأمر وأدرك أن روز تستسلم لبيكي، في الأمور الصغيرة فحسب، أما حين تتعلق المسألة بشيءٍ تهتم له، تصبح روز عنيدة إلى أبعد الحدود.

www.elromancia.com

نظرت روز إلى زوج أختها والتقطت جزءاً من الورقة الممزقة عن الأرض، ثم قالت: «كل ما عليّ فعله هو طباعة نسخة أخرى، بيكي».

قاطعها نك: «هل يتعلق الأمر بلا تيمور، روزي؟».

وأردف: «هل أنتِ راحلة لأنه يضغط عليكِ؟ يجب ألا تستسلمي عزيزتي، فالموظفون يلقون اليوم دعماً كبيراً في حالات التحرش».

هزّت روز رأسها بقوة وعلّقت: «ستين ليس من هذا النوع نك. هو رجل شريف جداً».

- أتساءل ما إذا كان ستين بهذا الشرف لو لم تكن زوجته ابنة الرئيس!

- بيكي، هذا ليس عدلاً!

- وهل من العدل أن يقول لكِ إنه يحبك جداً؟

- لم يكن يخطط لذلك، جاء الأمر تلقائياً.

- برأيي، يخطط ستين لاتيمور لكل شيء.

- ولِمَ سيكذب؟

ردّت ريبيكا وهي تضرب ضرباً خفيفاً على شعرها الأشقر ذي القصة المتميزة: «لأنه ليس رجلاً لطيفاً. الرجل الذي وقعت في حبّه موجود في عقلك فحسب، روز».

ثم تأوّهت قائلة: «هو زائف أناني، وأنتِ رومنسية بائسة».

هزّت روز رأسها. القرار الذي اتخذته صعب جداً، لكنها عرفت أنه القرار الصحيح، مهما حاولت ريبيكا قلب الأمور.

ذكرت روز أختها: «لطالما أحببت الذهاب إلى مناطق سكوتلاندا الجبلية».

انفجرت ريبيكا، وهي تمرر يداً مستاءة على شعرها: «لا أصدق أنك جدية فعلاً».

- أحتاج إلى فترة راحة. هذا الرجل يريد مجموعة كتبه في قوائم

منظمة. أنا بدأت أعمل في مهنة التسويق صدفة، فيما تدرّبت في الأصل كأمينة مكتبة.

أطلقت ريبيكا صرخة غضب نافدة الصبر، وقالت: «لا تدّعي أن ما يهمك هو بضعة كتب قديمة بالية، لأننا نعرف أنه ليس كذلك. أنتِ تهربين، وهذا خطأ كبير. حباً بالله! هذا الأمر لا يشبه أي شيء حصل من قبل».

توقفت ريبيكا، ورمقت أختها بنظرة حادة، ثم سألتها: «هل الأمر أنه...».

- هو متزوّج.

عبارة روز الغاضبة أضحكت أختها، فسخرت منها ريبيكا بطريقة هادئة قائلة: «المتزوجون يقيمون أحياناً علاقات خارج إطار الزواج، روز».

وأردفت: «تعرفين أنك حالة نادرة في القرن الحادي والعشرين. أليس كذلك؟».

جرحتها سخرية أختها الرقيقة، فأجابت: «أنا لن أقيم علاقة مع رجل متزوّج».

- لا! في الواقع، هذا لا يجعلك فريدة من نوعك كلياً. أنا أيضاً، على الرغم من تاريخي المليء بالمغامرات المتنوعة.

بالرغم من الاستخفاف في نبرة ريبيكا، عرفت روز أنها تطرّقت إلى مسألة حساسة. فريبيكا تغضب بسرعة عندما تتحدث روز معها بشأن مغامراتها العاطفية.

- آسفة، لم أقصد أنكِ...

- لا عليك روزي. يعرف نك كل شيء عن ماضي. أليس كذلك حبيبي؟.

مدّ زوجها قامته الطويلة قليلاً، مع هزّة من رأسه تدل على الموافقة

www.elromancia.com

الساخرة، وأعلن: «فقرة من كتاب».

وأضاف: «يملأ ماضي كتباً عديدة».

خلف كلماته الساخرة ظهر الالتزام والحب العميقين، ما جعل روز توشك على البكاء.

- أراضي سكوتلاندا الجبلية! لا يمكنني أن أصدّق أنك جدية بهذا الأمر. أنت مجنونة... مجنونة تماماً!

* * *

دافعت روز عن صحّة قواها العقلية، لكن ما إن صدر صوت متقطع ثان من تحت قدميها، وانتشر الشق في الثلج سريعاً، حتى اضطرت إلى التفكير بأن ريبيكا قد تكون على صواب.

* * *

استيقظ ماثيو باكراً، قبل أن يستيقظ أي من أفراد المنزل. تمتع بالوحدة وبالوقت الكافي ليستجمع قواه وأفكاره من دون مقاطعة الهاتف أو البريد، فمثل هذه اللحظات باتت نادرة جداً في الأشهر السابقة. إنه لا يتذمر بالطبع، فبالرغم من الصعوبات البالغة التي واجهته، وجد أنه يحب ما يفعله، وأنه يتعلم طيلة الوقت.

يشعر ماثيو في الوقت الحاضر بالسرور لمعرفته أن أندريوس لم يخفِ حقيقة امتلاك ابنه غير الشرعي لصفات النجاح، وأنه كافح كي يخيبء خيبة أمله حين أجاد ماثيو عمله ولم يفشل فشلاً ذريعاً كما توقع له.

منذ فترة وجيزة سأله أحدهم ما إذا كان قد وجد النظام الصارم الذي تتطلبه إدارة الشركة مرهقاً بعد الحرية التي عرفها في ميادين السباق. وبالطبع! لم يستطع ذلك الشخص أن يدرك السبب الذي دعاه إلى الضحك، فهو مثل الكثيرين سواه، ليست لديه أدنى فكرة عن الجهد الجسدي والفكري المطلوب. إن الذين عرفوه في إدارة الشركة رأوا

التألق والنجاح لكنهم لم يعرفوا مقدار ما بذله من جهد من أجل البقاء في القمة.

نقل ماثيو حقيبة يده من كتفٍ إلى أخرى، وأدار عنقه ليهدىء التوتر الذي شعر به في كتفيه. تلك الكرسي التي زوده بها جايمي لم تكن معدّة لوضعية جلوس مريحة لوقت طويل، وقد عمل ماثيو طويلاً خلال الليل مستغرقاً في قراءة الحسابات، التي لم تكن سوى مجموعة من الأوراق والخربشات غير المقروءة في الدفتر الذي زوّده به جايمي.

كان الفجر قد بزغ حين عزم ماثيو على تسلق المنحدر الصخري. ألقى نظرة خاطفة إلى ساعة يده، لحسن الحظ، سيتمكن من الوصول في الوقت المناسب لتناول الفطور، والقيام ببعض الاتصالات الهاتفية. غمره الشعور العام بالسعادة بعد التسلق وهو يتوجه إلى البقعة التي ركن فيها سيارته اللاندروفر. نظر مرّة أخرى إلى الساعة المثبتة إلى معصمه برباط معدني، وسرّع وتيرة خطواته.

كان ماثيو على بعد ميل واحد من اللاندروفر حين أحس بحركة ضمن محيط نظره، ما جعله يدير رأسه في الوقت المناسب ليرى امرأة تتحرك وهي ترتدي قبعة حمراء. اعتقد في البداية أن شخصاً آخر سواه يستمتع بالصباح، لذلك تابع سيره.

لكن حين بلغ منحدراً حاداً مغطى بالحصى فوق البحيرة مباشرةً، دفعته غريزته إلى التوقف والسعي لمعرفة ذلك الشخص البعيد.

حبس ماثيو أنفاسه للحظة، بينما بدأت المرأة تمشي بسرعة فوق طبقة الجليد الرقيقة جداً.

لم يضيّع طاقته على الصّراخ، بل بدأ يتقدّم من دون تأخر، وهو يعرف أنَّ المرأة تقف على انحدار منخفض، وأن صفير الهواء القادم من الوادي سيمنعها من سماعه.

حين أصبح على بعد خمسين ياردة، شق صوت انكسار الجليد

الصمت الذي يسود المكان، تبعه صراخ المرأة. خطوات سريعة أخيرة سارها ماثيو أوصلته إلى حافة الجليد خلال ثوانٍ فقط. خلع بسرعة سترته الخارجية الخفيفة المبطّنة، وشرع يخمّن فرص نجاحه.

بدت حركاته رشيقة لكنها ليست متسرعة، فيما راح عقله يحتسب كل العوامل المؤثرة. إن قدرته على التفكير بوضوح في ظل ظروف كهذه هي التي جعلت منه بطل سباق سيارات ناجحاً. هذا بالإضافة إلى استجابته الفائقة السرعة وأعصابه الفولاذية، كما يرى بعض منافسيه الذي يرون أن هذه الأمور تفوق أهميتها براعته في القيادة. استنشق ماثيو الهواء، ودسّ فأسه الخاص بالثلج في حزام سرواله، ثم استلقى على معدته ليوزع وزنه، ويبقى متوازياً قدر المستطاع على سطح الجليد الرقيق. بدأ يزحف بأسرع ما يمكنه نحو الحفرة.

رأى قمة القبعة الحمراء وسمع الصرخة المجنونة، فاندفع إلى الأمام أسرع بغض النظر عن أصوات الصرير المحذّرة للجليد الحسّاس تحته. ما إن وصل إلى حافة الشق، حتى اختفت اليد البيضاء البشرة تحت المياه.

اندفع ماثيو بعنف إلى حافة الحفرة وغرز فأسه بشدّة في المياه. أحسّ بفيضٍ من الارتياح حين استقرّ على شيء في تلك اللحظة. اتسم وجهه بالعزم، واشتد توتر أوتار عنقه، ثم بدأ يسحب.

عندما فتحت فمها لتصرخ طلباً للمساعدة، أدركت روز أن أي فرصة ليسمعها أحدهم بعيدة حتماً. بقيت صرختها الثانية المتأتية من خوف عميق عالقة في حنجرتها بينما انفسخ الجليد تحت قدميها وسقطت. لم تتخيل مطلقاً أن البرد يمكن أن يصل إلى هذا الحد، فقد لفتها البرودة تماماً مجمّدة الهواء في رئتيها، ومتسللة إلى كلّ خلية من خلايا جسمها. بعد الصدمة الأولى بدأت روز تكافح، وترفس بقوة من جرّاء خوفها وهي تشق طريقها إلى السطح. وعلى الرغم من أنها في الواقع

سباحة ماهرة، إلاّ أن حرارة المياه الشديدة الانخفاض استنفدت قواها في بضع دقائق.

صرخت وهي تنزلق تحت السطح: «ساعدوني!».

لفها الظلام الجليدي، وسمعت خبطات قلبها الثقيلة. رفضت روز القبول بالأمر المحتّم.

لن أغرق!

إلا أن هذا ما كان يحصل في الواقع..

بقيت روز متعلقة بعناد شديد ببصيص الأمل الأخير. رفست بضعف مندفعة نحو السطح رغم إدراكها أن محاولتها لن تكلل بالنجاح، إلاّ أنها استمرت في المحاولة. لكن مع استنفادها لكل ما تبقى من قوتها، شعرت بشيء علق في معطفها، وما لبثت أن سحبت إلى الأعلى.

* * *

استطاع ماثيو بصعوبة أن يفهم الكلمات المكبوتة، فيما هو يحمل رأس الفتاة المبلّل فوق المياه المتجمدة. تساءلت الفتاة في هذه الظرف الصعب ما الذي حدث، فقد استفاقت فجأة على واقع آخر لم تستطع فهمه. إلا أن ماثيو لم يضيع أنفاسه في الإجابة.

سمعت روز صوتاً عميقاً فوقها: «من المهم أن تبقي هادئة، ولا تكافحي».

تكافح؟ هل هذا الرجل يمزح؟ في تلك اللحظات، شعرت أن أنفاسها تستنفذ كل طاقتها.

- حين أسحبك تماماً...

رفعت رأسها برعب وهي تشعر أنها تدفع قليلاً فوق الجليد.

- سأقوم بربط هذا الحبل حولك فحسب. ابقي هادئة.

شعرت روز بالحبل الذي ربطه منقذها تحت ذراعيها بمتانة.

ثم قال ماثيو بثقة لم يشعر بها فعلاً: «أنتِ بأمان تام الآن».

www.elromancia.com

ألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه نحو الشاطىء الذي يمثل الأمان مفكراً أنه حين زحف من هناك نحوها، مرت لحظات خشي خلالها أن يتصدّع الجليد تحت قدميه.

استطاعت روز أن تشعر بدفء أنفاس منقذها على خدّيها حين انحنى قربها أكثر. مع أن هذا الرجل يمثل الأمان بالنسبة إليها، لكن روز شعرت بوجوب تحذيره من أن سَحْبَها من المياه لن يكون سهلاً على الأرجح.

ربّما كانت من النوع الذي تنتابه الهستيريا في ظل ظروف كهذه، وربما كان ذلك ينطبق على كل الناس. تذكرت صوت منقذها العميق الهادىء، وفكرت أنه ربّما يمثل حالة استثنائية لحسن حظّها.

بدت الحالة أفضل ممّا تجرّأ ماثيو أن يأمل؛ لم يكن ثمّة تصدّعات.

أخذ نفساً عميقاً، وركّز كلياً على المهمّة التالية.

الأمر بكل بساطة هو مسألة إنقاذ، وهذه عوامل يرتاح في التعامل معها.

ثبّت ركبتيه على الجليد الرقيق قرب المرأة التي أصدرت نشيجاً خائفاً، وقال: «دعينا ننهي الأمر».

بالطبع، لدى روز سبب مبرر للخوف، وعلى الأرجح أن ماثيو بدوره بدا خائفاً أيضاً، لكن نسبة الأدرينالين في مجرى دمه قوّت ردّات فعله وأيقظت انتباهه.

تساءلت عن أي أمر يتكلم حين قال: «هل أنت جاهزة؟».

فرفعت رأسها وأجابت: «لا، لست جاهزة!».

وارتجفت شفتها السفلى وهي تقول: «لا أريد أن أموت».

تقطع صوتها تدريجياً بينما التقت عيناها بعيني منقذها. هما عينان من اللون الرمادي الباهت، إنهما عينان مضيئتان تقريباً، وهما مائلتان إلى الأعلى عند الزاويتين، أما جفونه فتنتهي أطرافها برموش طويلة

مائلة وقاتمة اللون. حتى وهي على وشك أن تبدأ بالهذيان لشدة خوفها، سجلت روز في جزء من ذهنها أنهما العينان الأكثر جمالاً وسحراً اللتان رأتهما في حياتها.

لم تر روز بقية ملامح وجه الرجل بوضوح وهي تركّز على تينك العينين الفاتنتين، غير أن ما التقطته هو زوايا حادّة وتجاويف ملفتة للنظر.

للحظة، تخيّلت روز أنها رأت شيئاً يلتمع في أعماق عينيه الفضيتين الساحرتين... هل يعرفها؟ لا! هذا لا يعقل، لأنها لو التقت من قبل برجل ذي عينين بمثل هذا الجمال، لما انتزعته من ذاكرتها قط. سادت لحظات من الصمت قبل أن يجيبها ماثيو بهدوء: «لن يموت أحد. سأرفعك من المياه».

أطلقت نفساً عميقاً من صدرها وهي تلقي رأسها على الجليد. وشعرت بالدموع تسيل من عينيها وهي تقول: «لا أريد أن أغرق».

أجابها ماثيو إجابة غير مطمئنة كلياً: «ليس إذا نفذت ما أقوله لكِ».

ثم أضاف: «هل أنتِ مجروحة؟ هل تتألمين؟».

رفعت روز رأسها، مزيلةً عن خدّيها خصلات شعرها الداكنة المبلّلة. بدا الشاطىء مكاناً فظيعاً وبعيداً جداً. هزّت رأسها يميناً ويساراً وقالت: «أشعر بالبرد والتعب فحسب. ليتني أستطيع أن آخذ قسطاً من الراحة لدقيقة واحدة...».

شعرت بيد من تحت ذقنها تهز رأسها فجأة إلى الأعلى، ثم سمعته يقول: «افتحي عينيك! الآن!».

أطاعت روز الطلب الآمر، ورأت أن الرجل الجميل العينين لا يحرك ساكناً تجاه الدموع التي ملأت عينيها. على أي حال، هي لا تلتمس الشفقة. حين توضحت رؤيتها، سجلت بعض التفاصيل الأخرى عن مظهر منقذها غير عينيه المذهلتين. بدا شعر الرجل أسود اللون،

متموجاً بنعومة بدءاً من جبينه العريض لينساب كالحرير نحو قمة رأسه وقد بدت الظلال القاتمة السواد في حاجبيه الأسودين الشبيهين بالجناحين منسجمة تماماً مع لون بشرته السمراء. أمّا وجهه فأرستقراطي طويل ذو عظام بارزة حادّة وفك بارز العظام. يعلو ذقنه فم واسع وأنف كبير جذاب ومعقوف.

إنه الرجل الأكثر وسامة من بين من رأتهم في حياتها، إلاّ أنها لم تفهم كنه ذلك الشعور المسؤول عن الاضطراب في معدتها؟

- لا تستسلمي للنوم!

أرادت روز أن تسأله إن كان يظنها حمقاء فعلاً، لكنها لم تمتلك القوة لذلك. فكرت أنه يظن ذلك على الأرجح. هزّت رأسها إلى الأمام والخلف وسألت: «ماذا علي أن أفعل؟».

- ابقي جسمك منبسطاً، وتحركي ببطء.

- سأحاول.

- لا يكفي أن تحاولي إذا لم ترغبي بقتلنا نحن الاثنين. سأكون قربك، لكن الأهم هو أن نوزع وزننا بالتساوي على قدر الإمكان، ابقي بطيئة الحركة ومنبسطة الجسم.

قام ماثيو بحركة أفقية مائلة بيده ليريها كيف يريدها أن تتحرك، وقال: «على طريقة المغاوير».

انتقلت نظراتها إلى عضلاته. إنه يتمتع بتلك البنية اللينة القوية ما يسهّل أمر تخيّله عضواً من مجموعة النخبة المدرّبة على عمليات سريّة. زد على ذلك طابعه السلطوي. في الواقع لا يستطيع الكثير من الناس إعطاء الأوامر على هذا النحو.

هزت روز رأسها، وعلقت: «لكن الحبل... هل هو حقاً فكرة سديدة؟».

تبعت روز الحبل بنظرها من خصرها المطوّق به إلى خصره.

- إذا حصل شيء غير متوقع، فكل منا متعلق بالآخر.

لم ترغب بأن تكون مسؤولة عن دفع ذلك المنقذ الشجاع إلى المياه الجليدية.

نفد صبر ماثيو، وهو الذي اعتاد ألاّ يجادله أحد في أوامره، فأصر قائلاً: «إذاً، علينا أن نحرص على عدم حصول أمر مماثل، أليس كذلك؟».

وأضاف: «هل أنت جاهزة؟».

هزّت روز رأسها مفكرة أن ثمة أشياء لا يجهز المرء لها أبداً.

بدا التقدم الذي قاما به بطيئاً ومعذّباً. رغم أن روز أحست أن الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً، مرت لحظات شعرت خلالها أنها غير قادرة على التقدم أكثر بسبب ارتجاف رجليها، اللتين لم تكن تشعر بهما مطلقاً، إلا أن منقذها لم ينفك يشجعها، على الرغم من أن تشجيعه أتى في بعض الأحيان بطريقة الإكراه.

٣ - لا أعرفك

أخيراً، وصلا إلى الأرض الصلبة! استلقت روز بكل بساطة لبضع لحظات. غمرتها الحيوية لتحررها من الخطر، فلم تشعر بالبرد الذي تسلل إلى عمق عظامها من جرّاء كل رعشة هواء بارد. قربت ركبتيها إلى صدرها، ورفعت جسمها لتجلس ضامة جسدها بذراعيها.

وقف الرجل الغريب الداكن البشرة قربها، وهو يوازن ثقله على عقبي قدميه مستخدماً البراعة الغريزية للرياضي الطبيعي.

- شكراً جزيلاً. أنقذت حياتي.

شعرت روز بالغرابة لأنَّ تينك العنين الرماديتين الضاربتين إلى اللون الفضي الشاخصتين نحوها بدتا خاليتين تماماً من التعابير.

- بالمناسبة، أنا روز، سيد...؟

نظر ماثيو إلى العينين الرائعتين المفعمتين بالامتنان والبراءة. تذكر ذلك التحدي الذي رآه في هاتين العينين نفسيهما من قبل. حتى لو أصرت روز على افتراضها أنهما لا يعرفان بعضهما، لن يأبه ماثيو للأمر. افترض أنها قد لا تعرفه، لأنها كانت ثملة تلك الليلة.

فاز ماثيو بميدالية البطولة للمرة الرابعة لأربع سنوات متتالية. لهذا السبب فحسب، ظلت ذكرى الاحتفال في السفارة عالقة في ذهنه، حين رجع متأخراً تلك الليلة إلى غرفته في الفندق ليجد امرأة في سريره. امرأة ذات بشرة ناعمة كالحرير، وشعر طويل بلون الكراميل الشاحب وعينين ذهبيتين.

إنهما العينان الذهبيتان نفساهما اللتان تنظران إليه الآن.

- هل يمكنك السير؟

ومضت روز بعينيها لسؤاله المفاجىء، وزالت الابتسامة عن وجهها. بدت هادئة تجاه العدائية في تصرّفه. بالطبع، لقد تعرضت حياته للخطر بسببها، وربما هو لا يستلطف الشخص المسؤول عن ذلك، إلا أن مستوى الاحتقار البارد في لغة جسده بدا عالياً حقاً. إنه ينظر إليها وكأنها شيء بغيض جداً.

حاولت أن تكافح وتمشي بغير رشاقة قائلة: «بالطبع».

أدرك ماثيو حالما طرح السؤال أنها على الأرجح بالكاد تستطيع الاحساس بأطرافها، أو السير على قدميها، لذلك تجاهل تأكيدها الجريء، وانحنى ليحملها. حين جذبها نحوه، انتبه إلى نعومة بشرتها، وقبل أن يتسنى له أن يفكر بالحرارة التي تفجرت في داخله، شعر بالبرودة الجليدية تنبعث من جسدها.

لاحظ ماثيو أن جلدها قد اصطبغ بصبغة زرقاء مثيرة للقلق، وهو أمر غير مفاجىء نظراً للظروف التي مرّت بها. لذا فكر أن من الأفضل تدفئتها بسرعة.

تمتمت روز وهي تجد نفسها متدلية من دون مبالاة على كتفه: «أنا... ماذا تفعل؟».

- أجنبك تدني حرارتك، سيارتي اللاندروفر مركونة على الطريق.

لم يضف أي كلمة أخرى إلى أن وصلا إلى السيارة، وهذا لم يفاجىء روز. فما الذي يستطيع أن يقوله رجل يحمل فتاة شقراء ذات وزن زائد على كتفيه؟ لكن ما فاجأها هو أنه حافظ على رشاقته وهو يركض الطريق بكامله، ومع هذا لم تتعب أنفاسه.

دفع ماثيو باب سيارته لينفتح، وألقى بالحمل المرتجف على المقعد الخلفي قبل أن يستدير إلى جهة السائق ويدير المحرّك ليشغل السخّان

على أعلى درجاته.

بالكاد نظر ماثيو إلى روز قبل أن يغادر الجهة الأمامية لسيارته قائلاً: «اخلعي ثيابك المبللة».

ثم رجع بعد بضع لحظات حاملاً بطانية إنقاذ سميكة بالإضافة إلى قميص ذات أربطة معدنية طرحهما على المقعد بجانبها. قال وهو ينزلق إلى مقعد السائق، ويدير وجهه نحوها: «هل سمعتني؟ عليك أن تنزعي هذه الثياب عنك».

مع أن جهاز التدفئة راح يعمل بأقصى طاقته، وغدت السيارة دافئة، إلاّ أن روز ظلت ترتجف. في الواقع، لم تتوقع أن تتوقف عن الارتجاف وتشعر بالدفء مجدداً. قالت وهي تحاول أن تحرك أصابعها الشاحبة النحيلة التي ما تزال ضعيفة مثل بقية أنحاء جسدها: «عفواً، إن أصابعي...».

أضافت: «... لا أستطيع الشعور بها».

انزلقت عينا ماثيو الداكنتان من وجهها إلى أصابعها، وعمّت لحظات من الصمت قبل أن يتنهد تنهيدة غضب: «أفترض إذاً أن علي القيام بذلك بنفسي».

- تقوم... بماذا؟

ادعاء الجهل بدا لها أفضل طريقة للدفاع عن النفس. هبت نسمة هواء باردة، ثم نسمة أخرى فيما انفتح باب الراكب الأمامي وانزلق ماثيو بقرب يكفي ليتمكن من مساعدتها، ثم أقفل الباب بقوة.

ليس حضوره الجسدي الفارض فحسب هو ما جعل مشاركتها هذا المكان الضيق معه أمراً غير مريح، بل إن قوته الجسدية الطبيعية بدت عاملاً مؤثراً أيضاً.

شعرت روز بالخجل من اتجاه تفكيرها، وهي تلقي نظرة جانبية على منظره الجانبي الكلاسيكي. ارتجفت فتحتا أنفها وهي تحاول ألا تتنشق

رائحة عطره القوي. وجوده بهذا القرب منها جعل التركيز على أي شيء سواه أمراً مستحيلاً.

حبّاً بالله روز! إذا رآك أحدهم تتصرفين على هذا النحو فسوف يظن أن الرجل يغويك.

ابتلعت روز ريقها، ورفعت رأسها عازمة على أن تحذو حذو سلوكه العملي، بينما غير ماثيو موقع جلوسه ليصبحا مواجهين لبعضهما. إلا أنها بدأت بالضحك فجأة.

ارتفع أحد حاجبي ماثيو الداكنين وسألها: «ما المضحك في الأمر؟».

هزّت روز رأسها يميناً ويساراً مجيبة: «لا شيء».

تخيلت شقيقتها ريبيكا وهي تقول: إن بعض الناس لا يتمتعون بصفات الجاذبية والإغراء، لذلك فهم لا يثيرون اهتمام الآخرين، وروز هي إحدى هؤلاء فهي لا تتمتع بجاذبية أنثوية يمكنها التأثير على الجنس الآخر.

فيما راحت تتمعن بوجهه الوسيم الجذاب، فكرت أنه على الأرجح يحظى بالكثير من النساء، وهو لن يهتم لامرأة بائسة تفتقد إلى الجاذبية مثلها.

شعرت ببعض الارتياح لاقتناعها أن ماثيو لا يرى فيها الآن سوى امرأة مسكينة تحتاج إلى العون والمساعدة. قطع صوته الحاد أفكارها المشتتة: «ارفعي يديك».

لو استطاعت روز أن تنزع عينيها عن تلك العينين المزعجتين لفعلت، لكن عيناه حاصرتاها بنظرة غريبة جذابة جعلتها تقريباً غير قادرة على النظر إلى شيء آخر.

- اسمع، هذا ليس ضرورياً حقاً.

جزعت روز عندما سمعت صوتها يصدر كهمسة مخنوقة.

وأضافت: «سأغير ثيابي حين أصل إلى البيت».

وبدلاً من أن يلتقط ماثيو الفرصة التي سنحت له للتخلص منها، ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة، وقال: «لا تقلقي عزيزتي، أنا مستعد لأن أفترض أنك شديدة التواضع».

أصابتها الحيرة بسبب ابتسامته وتلك الإشارة الضمنية الواضحة في صوته. بدا ماثيو رجلاً يونانياً فظّاً.

جاءت ضحكتها أكثر دفئاً من العادة لأن ما رأته أخيراً جعلها تشعر كأنها بائسة ناكرة للجميل، فلو لم ينقذها هذا اليوناني الفظ، لماتت غرقاً على الأرجح.

إدراك روز هذا أشعرها برجفة أقوى من الرجفات الأخرى التي انتابتها بتقطع وانتقلت من أعلى جسمها إلى عمودها الفقري. نظرت إليه وسألته: «هل أنتَ يوناني؟».

- نصف يوناني ونصف فرنسي، ألم تقرأي سيرتي الذاتية؟

كوّرت روز شفتيها في تساؤل ملؤه الاستغراب، وكررت: «سيرتك الذاتية؟».

أغمضت عينيها واتكأت إلى الخلف مطلقة تنهيدة تعب. حتى عندما توقفت عن النظر إليه، ظلت متنبّهة جداً لوجوده.

تشدق ماثيو بجفاء: «معظم الناس يفعلون ذلك».

عادة ما تقرأ النساء المقالات المنشورة على المواقع الإلكترونية بالإضافة إلى مجموعة التفاهات التي تكتب عنه، وهكذا يعتقدن أنهن يعرفنه جيداً.

لم يفهم ماثيو قط سبب انجذاب أولئك النساء إلى الشهرة، وفكر أن شيئاً ما يجب أن يكون مفقوداً في حياتهن كي يمضين الكثير من أوقاتهن وهن يحلمن بأن يتواجدن مع رجل غريب تماماً.

- اعذرني، أنا لا أقرأ بالمقدار الذي أريد. أتمنى أن تقلّني...

واختفى صوت روز تدريجياً.

مرّر ماثيو يداً في شعره الداكن، ونظر إلى عيني روز بسخط مصبوغ ببعض الاهتمام وقال: «يجب ألا تنامي!».

انفتحت جفون عينيها وهي تهز رأسها قليلاً مجيبة: «عفواً.. لا... طبعاً».

وتابعت وهي تدسّ يديها تحت رجليها: «أنا ممتنة لك فعلاً، وأنتَ تعرف هذا».

في تلك الأثناء أخذت أصابع روز تسترجع دورتها الدموية وراحت تنبض بالألم. قالت وهي تنحني إلى الأمام مع ازدياد قوة النبض: «أعتقد أنك أنقذت حياتي».

- قمت بعمل أحمق وغير مقبول.

- رأيت ذئباً هناك.

تمكنت روز أن تفترض تفسيراً منطقياً لما حصل، وهو أنه حين تصدّع الجليد هرب الذئب، أو حتى إنه لم يعلق قط.

- لم أرَ أي ذئب.

أنكر ماثيو وجود الحيوان المذكور بتلويحة ملكية من يده. بدا واضحاً أنه لم يره، لذا هو مقتنع أنه من غير المعقول أن يكون هناك.

أشارت روز: «هذا لا يعني أنه لم يكن هناك».

استعاد ماثيو في ذاكرته لحظة رآها تختفي تحت المياه الجليدية فطفح غضبه من جديد فيما تابع: «أي إنسان هذا الذي يمشي على جليد رقيق لينقذ ذئباً؟».

هو ذلك الإنسان الذي عليه أن يزود شاشات القنوات التلفزيونية ببرامج عن الحياة البرية، في حين أن ممولي هذه البرامج لا يأبهون لإنقاذ حياة الحيوانات، حتى لو كان ثمة حيوان ضعيف، أو جريح.

بالطبع بإمكان روز أن تشرح هذا الأمر، لكنها شكت في اهتمام

ماثيو بالموضوع. في ظل الظروف الراهنة، من الواضح أن ما أراده ماثيو منها هو اعتذار واضح وهي تحبو على ركبتيها.

- إن كان هذا نوعاً من العمل المثير لتجذبي انتباهي مجدداً، فقد نجحت في ذلك.

كررت روز وهي تومىء ببلاهة: «عمل مثير؟».

ثم أضافت وارتفع صوتها في تساؤل مربك: «مجدداً؟».

- أفترض أنك قمت بهذا لأنني جرحت كبرياءك؟

- كبريائي؟

أصابت الحيرة روز لدرجة أنها لم تعد تتفوه بكلمات جديدة بل راحت تكرر ما قاله، بينما التقت عيناها بنظراته التي تبدو خارقة كأشعة اللايزر. هذا الرجل يملك فعلاً عينين تبدوان كأنهما تريان ما في ذهنك وتقرآن أفكارك، وهو أمر مزعج لأن بعض الأفكار التي راحت تطرأ على ذهنها وهي تنظر إليه لم تكن مناسبة لتشاركها مع أي كان.

لا بد أنها كبحت أحاسيسها لفترة طويلة، لذا تجدها الآن تتمرّد عليها.

قال ماثيو على الفور: «حين تخلصت منك».

تساءل لما تراها لم تعرِض قليلاً من هذه الكبرياء حين حاولت إغواءه.

اتسعت عينا روز دهشة وسألته: «تخلّصت مني؟».

- في غرفتي.. في الفندق، على سريري.

ارتخى فكّ روز حتى كاد يصطدم بصدرها، وللحظة نسيت أمر أصابعها المتألمة، فابتلعت غصة وهي تقول: «السرير؟ أنا لا أعرفك حتى».

- اسمعي! أوافق على مجاراتك في المزاح، والافتراض أننا لم نلتق إذا كان هذا ما تريدينه. حسناً!

اختفت الابتسامة الساخرة التي لوت شفته حين أضاف: «لكنني غير مستعد لتركك تموتين بسبب تدني الحرارة، ليس بعد كل هذا الجهد الذي بذلته لإنقاذك من البحيرة».

ابتلعت روز ريقها بصعوبة، هذا الرجل يملك حقاً أجمل عينين رأتهما في حياتها كلّها. علّقت على كلامه: «أعتقد أنك تظنني شخصاً آخر».

أتراها تجلس في السيارة مع شخص مجنون خطير؟

صدر صوت أزيز من السخط من بين أسنان ماثيو البيضاء المطبقة، وعلق بطريقة كريهة قائلاً: «اسمعي! إذا كنت تريدين الافتراض بأنك لم تحضري إلى غرفتي في الفندق، فأنا لا آبه لهذا الأمر...».

وأضاف: «.. لكن طريقتك لا تبدو ناجحة لرجل سبق له أن رآك في سريره».

- ماذا؟

ارتفعت يداها في حركة دفاعية إلى صدرها. يجب على المرأة أن تكون شجاعة جداً أو جميلة جداً لتقتحم سرير رجل شديد الوسامة كماثيو. وروز ليست تلك المرأة بالطبع!

- أنت لم ترني في سريرك فقط.

- حسناً! إذا أردت أن تكوني متحذلقة...

اعترف ماثيو بينما انخفضت نظراته إلى حنايا جسمها: «أصبحت أكثر نضوجاً..».

ثم تابع: «.. والحياء جديد على تاريخك الحافل بالمغامرات. هذا أمر جيد!».

- ليس لدي تاريخ حافل بالمغامرات.

الوقاحة التي ظهرت في نظراته الجريئة انتجت سلسلة من ردات الفعل، بدأت في معدتها. ولو لم تكن جالسة على مقعد السيارة لخانتها

رجلاها بالتأكيد.

- هذا الوزن يناسبك.

تلك المرأة في سرير ماثيو في الفندق تملك بنية جذابة شديدة النحول وملامح فاتنة تتمناها كل عارضة أزياء. خطر ببال ماثيو حينها أنها سوف تبدو من دون شك أكثر جاذبية وهي مرتدية ثيابها. قالت روز: «اسمع! تماديت في مزاحك معي، وهذا يكفي».

نظرة واحدة إلى تعبيره جعلت الأمر واضحاً: إنه لا يمزح.

- نحن لم نلتقِ قط، أؤكّد لك هذا.

- التقيت بالكثير من المعجبات، لكنك كنت الأبرز بينهن.

- معجبات؟

من الأفضل اعتبار كل هذا مزحة عابرة. فكرت روز: ابقيه سعيداً كي تصلي إلى دار دورني في أسرع وقت ممكن، وبعد ذلك لن يكون عليك رؤية هذا الرجل مجدداً.

بما أنها لم تحقق تقدماً عن طريق الانكار، حاولت أن تتبع مسلكاً آخر.

- آه، بالطبع! يمكنني أن آكل الرجال أمثالك قبل الفطور.

لم تتمكن روز من السيطرة على ضحكة ساخرة. استنشقت نفساً عميقاً، وقد شعرت بنقص في الأوكسجين.

- لكنك ستسرّ إذا سمعت أن الغرق أخمد شهيتي.

ابتلع ماثيو ريقه وهو يسحب نظراته. بدا من المؤسف أنه لا يستطيع قول مثل هذا الكلام عن نفسه. كل ما أمكنه افتراضه هو أن الأدرينالين ما زال يدور في دمه بعد أن زال الخطر.

تابعت روز: «جعلني أصرف النظر عن حميتي الغذائية اليومية التي تعتمد على الرجال المتمنعين، لذا فأنتَ بأمان».

ابتسم ماثيو ابتسامة انتصار، وقال: «إذاً، تعترفين أنك تلك

المرأة».

شدّت روز شفتيها بإحكام ثم قالت: «كلا، أبداً!».

- لا حاجة إلى الصراخ. سرّك محفوظ معي، ارتاحي.

هل هذا الرجل مجنون؟

- أيمكنك أن ترتاح إذا اتهمك أحدهم أنك أقمت معه علاقة عابرة ثم رفضك؟

- علامَ تعترضين؟ أعلى العلاقة العابرة أم على الرفض؟ وللتذكير، أنا لا أحبذ العلاقات العابرة.

رأت روز شعلة الغضب في عيني ماثيو، وفكّرت أنه لأمر عظيم أن يشعر بالإهانة.

- هذا ما أقوله... ولا حتى أنا. أنا لا...

توقفت روز عن الكلام، وظلت من دون حراك فيما انحنى ماثيو إلى الأمام وفتح زمام سترتها.

بعدئذٍ رفع رأسه، والتقت عيونهما، ومن دون أي كلمة سحبها من فوق كتفيها.

- ارفعي يديك!

من دون تفكير، أطاعت روز أمره هذه المرة، فخلع عنها السترة المشبعة بالماء. أبعدت بسرعة خصلة كثيفة من شعرها الرطب عن عينيها، ثم نظرت إلى سترتها وهي تسقط على أرض اللاندروفر. وسقطت معها أيضاً القميص التي ارتدتها تحت السترة.

جلست روز بسكون وهي تشعر بارتعاشات كبيرة في جلدها من جرّاء خوفها. ثم رأت نظرات ماثيو تجتاحها فجأة كالمد، فاكتست بشرتها لون الخجل والإهانة.

علقت بحدة حين انقضت اللحظة المخجلة التي شلّتها: «ظننتُ أنك تحاول انقاذي فقط».

www.elromancia.com

نظرته الضبابية أثارت ارتجافة في جسمها. بدا هذا الأمر أشبه بتجربة الموت الوشيك؛ إذ إنها لم تتجاوب على هذا النحو مع الرجال قط، ولا حتى مع ستين، مع أنهما عملا بشكل متقارب معظم الأيام.

عملا متقاربين جداً أحياناً، وهذا شكل جزءاً من سبب رحيلها. لكنه جزء صغير فقط، لأنها لم تخف قط من عدم قدرتها على السيطرة على نفسها. أمّا السبب الحقيقي، فهو شعورها بالذنب والخجل لأنها امتلكت أحاسيس تجاه رجل متزوج.

- آه، بالطبع!

يا له من رجل بغيض! نظرت إليه نظرة ثابتة ثم قالت: «أنت لطيف جداً».

- لا، لست كذلك. لست لطيفاً مطلقاً.

سمّرت نظراتها في عينيه الغاضبتين الباهتتين للحظة، ثم ارتجفت وأخفضت نظراتها، إنها تصدقه بالفعل.

متجاهلة ماثيو بقدر ما يمكنها، سحبت روز قميصها التي كانت جافة لحسن الحظ فارتدتها وغطت بها جسمها، بحيث وصلت إلى ركبتيها. بعدئذٍ خلعت سروالها الجينز بحركة لا تخلو من القلق والانفعال.

وقبل أن تتمكن روز من سحبه حتى كاحليها، فتح ماثيو الباب ورجع إلى مقعده الأمامي من دون التفوه بأي كلمة. وما لبث أن أدار المحرّك متوجهاً إليها بكلمات فظة مقتضبة بأن تشد حزام الأمان.

فكرت روز أنه على الأرجح يعني أن تشد حزام الأمان وتصمت في آن، ولم يكن لديها أي مشكلة في كلا الأمرين، إذ لم يكن مزاجها مؤاتياً للمحادثة قط.

مضى على سيرهما بالسيارة بضع دقائق قبل أن تدرك أنه لم يعرف بعد أين تسكن.

- سأنزل عند دار دورني. إنه المنعطف الأخير قبل...

قاطعها صوت ماثيو النافد الصبر: «لن آخذك إلى هناك».

التقت نظراتهما ثم تابع: «تحتاجين إلى كشف طبي. ثمة مستشفى صغير في موير».

- لا أحتاج إلى رؤية طبيب.

جاء ردّ ماثيو سريعاً بنبرة ملؤها الاستبداد: «سواء كنت تحتاجين إلى هذا أم لا، فهذا ما ستفعلينه».

لن تقفز روز من سيارة متحركة بالطبع، لذا لم يكن لديها الكثير من الخيارات إلا أن تقبل خطّته.

- هناك بطانية على المقعد الخلفي، لكنك قد تجدين عليها بضع شعيرات كلب. سنصل بعد خمس دقائق تقريباً.

وجدت على البطانية ثلاث شعيرات، لكنها لم تبال بذلك. التفت بها ملتمسة الدفء. عرفت أنه يجدر بها عدم هدر طاقتها، لكن كيف ستسمح لماثيو بالذهاب وهو يظنها شخصاً آخر؟

- أنت تعلم أنني لم أُقم علاقة معك.

أو مع أي شخص آخر...

لسوء حظها فإن الرجل الوحيد الذي تخيلت أن العلاقة معه لن تكون عملية آلية باردة كان رجلاً متزوجاً ولا يحق لها التفكير به. تجعّد جبينها وهي تتذكر تلميح ريبيكا أن وقوعها في حب رجل لا يمكن الوصول إليه ليس مجرد صدفة. وجدت روز نفسها تتذكر تلك المرة الوحيدة التي عانقها فيها ستين، ولم يكن ذلك العناق هو ما توقعته. لم يجرفها الشغف في الواقع، بل شعرت أنها غريبة عن الحدث تماماً.

- لأنني تخلصت منك فحسب.

مرّ تعليق ماثيو الساخر هذا كالشفرة على أفكار روز المشتتة.

- لماذا؟ ما كان عيبي؟

أعلن ماثيو بغطرسة ملؤها الازدراء: «لا أقيم علاقات عاطفية مع معجبات ثملات».

الدم الذي عاد يجري في أطرافها الباردة اندفع الآن إلى رأسها، وردّت: «انتظر! أعرف أنك أنقذت حياتي، لكن هذا لا يعطيك الحق لتختلق القصص وتدعوني بالمومس».

- لم أستعمل هذا المصطلح، لكن ماذا تسمين أنت امرأة تلاحق رجالاً مشهورين بهدف إضافة إنجاز نصر آخر إلى مغامراتها؟

كررت روز ما قاله ماثيو وقد زادت حدة غضبها: «مشهورين؟».

ثم أكملت: «هل يفترض بي أن أعرف من أنت؟».

قذفها بنظرة ساخرة، قبل أن يسألها: «أتحاولين أن تقولي لي إنك لا تعرفينني؟».

ردّت روز بحدّة: «لم تقع عيناي عليك مطلقاً قبل اليوم».

- حسناً!

تنهّد ماثيو تنهيدة تدل على الضجر، وكما لو أنه مضطر إلى مجاراتها تابع يقول معرفاً عن نفسه: «أنا ماثيو غوثيير...».

بالطبع، عرفت روز الاسم على الرغم من عدم متابعتها لأخبار الفورمولا ١. على أي حال، هذا يشرح الغطرسة والاعتداد بالنفس اللذين يتصف بهما هؤلاء السائقون، وهو أمر سخيف جداً. يبدو أن ماثيو على الأرجح يصدّق ذلك التملق الذي تنشره الصحف.

- هل يعني هذا شيئاً؟

بدا واضحاً من النظرة الخاطفة التي قذفها ماثيو باتجاه روز من فوق كتفه أنه لم يصدّق تجاهلها له للحظة. ظهرت التسلية واضحة في نبرته وهو يقول: «لربّما يعني شيئاً إذا كنت معجبة بالفورمولا ١».

- ظننت أنك يوناني، لا يبدو غوتيير اسماً يونانياً.

تلاشت الابتسامة الكسولة عن وجهه حين قال: «أنا نصف يوناني.

استعملت شهرة أمي مهنياً».

- إذاً، أنت في الواقع...؟

- ماثيو ديمتريوس. اسمعي! لست بحاجة لأن تفعلي هذا، لن أخبر أحداً بالأمر إذا كان هذا ما يقلقك. ربّما تقدّمت بحياتك، وأصبحت تخجلين من ماضيك. على الرغم من اعتقادي أن من الأفضل أن تعترفي بخطئك لمن أنت على علاقة معه أياً يكن.

لم يشك للحظة أن هناك رجلاً في حياتها؛ فالنساء أمثالها هنّ على علاقة مع أحدهم دائماً.

أجابت روز بثبات: «شكراً على النصيحة».

وتابعت: «لكني لست خجلة، لم أفعل شيئاً في ماضيّ أخجل منه».

وأردفت: «لا أعرف حتى أين ومتى يفترض أنني حاولت... إغواءك».

- موناكو.

- حسناً! لم أذهب قط إلى مونا...

توقفت روز عن متابعة جملتها. لم تكن هي التي ذهبت إلى موناكو بل ريبيكا، ولديها البطاقة البريدية التي تثبت هذا. أغمضت عينيها، وأخرجت من بين شفتيها تنهيدة صامتة. لم تكن المرأة التي كان يتكلم عنها ويسخر منها.. المرأة التي حاولت إغواءه إلا أختها التوأم ريبيكا التي تم هجرها بكل ما للكلمة من معنى في المذبح، فمسّها ضرب من الجنون. بدا كل شيء واضحاً الآن: المكان، التوقيت... التشابه! لطالما تكلمت الشقيقتان عن ذلك «الصيف الذي ترغب ريبيكا بنسيانه» حين اعترفت أنها قامت بأشياء كثيرة ترغب في نسيانها. يبدو أن تصرّفها الطائش على سرير بطل سباق الفورمولا ١ أحد هذه الأشياء.

آه! بالله عليك ريبيكا، كيف أمكنك؟ شعرت روز بالذنب من جرّاء السؤال الأناني لحظة خطر في بالها.

كان سايمون ذو الشعر الناعم الأملس والابتسامة اللطيفة الشاب الذي يقطن بجانب ريبيكا تماماً. أحبّا بعضهما منذ أيام الطفولة وبدآ يتواعدان منذ عمر السادسة عشرة ثم خطبا في عمر التاسعة عشرة.

وبدأت التحضيرات، وبدت ريبيكا مذهلة ساحرة كعروس الأحلام. لم ينقص الحفل سوى العريس!

انطلقت روز بسرعة في سيارة الفس الصغيرة إلى بيت سايمون، استجابة لاتصال هاتفي بائس، فوجدت العريس يقف مذهولاً على الطريق الخاص بمنزله. سألته: «هل أنتَ متوتر؟».

نظر سايمون إليها، وأجاب نفياً بهزة من رأسه، ثم طلب سيجارة. ذكّرته روز أنه لا يدخّن، ثم دخلت إلى البيت. حين علمت منه بعد جهد جهيد السبب الذي دعاه إلى عدم قيامه بدور العريس، تمنت لوقت قصير لو أنها تدخن هي نفسها.

- عليك أن تخبريها بنفسك روز. أنا لا أستطيع القيام بذلك. قولي لها إنني آسف وإنني أحبّها، لكن... ليس بهذه الطريقة.

- آه! طبعاً. هذا سيشعرها بتحسّن أكبر. وهل أذكر لها قبل ذلك أو بعده أن خطيبها انتظر حتى يوم زفافه كي يعترف بأنه شاذ؟

توقعت أن تنهار ريبيكا أو تجن بالكامل حين تعرف بشأن سايمون، لكن شقيقتها ظلت هادئة بطريقة تفوق التوقع.

بدت ريبيكا مسيطرة على نفسها، ما بدا أمراً جيداً نظراً لأنّ أباهما أصيب بنوبة إغماء وتصلب، وبدت أمهما قلقة ومضطربة جداً بشأن إرجاع الهدايا إلى أصحابها.

أصرّت ريبيكا على إخبار الحاضرين شخصياً. لن تنسى روز أبداً منظر شقيقتها وهي تقف كملكة جليلة بفستانها الأبيض لتشرح للموجودين ببضع جمل مشرّفة أن الزفاف لن يتم. انعصر قلبها على شقيقتها وهي تراقبها عالمة كم تتألّم.

مضت أربعة أيام قبل أن تبدو ريبيكا مصعوقة فعلاً بالخبر، فانهمرت الدموع وثار الغضب... بعدئذٍ، أعلنت أنّها نجحت في استعادة ما دفعته من مال لشهر العسل وبعضاً من تكاليف حفلة الزفاف، فقرّرت أن تسافر لبضعة أشهر وتتمتع بالمال. ويبدو واضحاً أن أسفارها قادتها إلى غرفة نوم ماثيو غوثيير.

قال ماثيو بصوت رقيق ساخر: «أرى أنك التزمت الصمت. أيعني ذلك أنَّ ذاكرتك المفقودة رجعت إليكِ؟».

تجاهلت مدى رغبتها في إخراج كلمة اعتذار بالقوة من فم ذلك الرجل البغيض، وتغلب إخلاصها لشقيقتها التوأم على رغبتها تلك.

هزت رأسها يميناً ويساراً، وقالت: «لم أذهب إلى موناكو قط».

- إذاً، لديك شقيقة توأم في مكان ما هناك.

أصابتها ارتجافة بينما أدارت رأسها لتنظر من النافذة وهي تقول: «إن كان هذا ما تقوله».

وتابعت: «لا أعتقد أن في المستشفى الصغير قسماً للمصابين».

- إنه مستشفى، ولا بد أن يكون هناك طبيب، وإن لم يكن، فلا بد أن هناك ممرضات يمكن الاعتماد على خبرتهن.

- أنا بخير، كما أنني تأخرت...

التقطت روز مقبض الباب لتثبت نفسها بينما اتخذ ماثيو منعطفاً ظانّاً نفسه في سيارة الفورمولا ١، لا في سيارة لاندروفر قديمة بالية.

- سنترك الأمر للشخص الذي تدرّب ست سنوات كي يقرّر إذا كنت بخير أم لا. هل يمكننا ذلك؟

* * *

اتّضح أن ماثيو على حق. كان هناك طبيب في المستشفى الصغير، هو أحد أطباء الصحة العامة المحليين. قال الطبيب إنهما قاما بالفعل الصحيح حين سردت له روز ما حدث لها.

حين عادت إلى صالة الانتظار بعد بضع دقائق اعتقدت لأوّل وهلة أن منقذها، بطل سباق السيارات قد رحل. في اللحظة التي بدأ التوتر يزول من عمودها الفقري، فصل ماثيو نفسه عن حائط التصق به.

- آه! لم أرك في الظل.

عاد التوتر إلى روز مع رغبة بالثأر. لم تلتق قط بشخص أثار فيها مشاعر الكراهية مثله. إنها محظوظة حقاً، فلو أعجبها ماثيو، لشعرت بطريقة غير عقلانية أنّها غير مخلصة لشقيقتها التوأم.

- قلت لك إنني سأنتظر.

انعقد حاجبا ماثيو في خط مستقيم حين ارتجفت روز لرؤيته.

- وأنا قلت إن هذا غير ضروري، فأنا قادرة تماماً على أن أرجع أدراجي بمفردي.

رفع ماثيو حاجبه، وقال: «بهذه الثياب؟».

أقرت روز أن لديه وجهة نظر، وأخفضت بصرها. كانت القميص تغطي جسدها كالفستان، لكنها بدت قصيرة وفضفاضة. أما الجوربين السميكين الكبيري القياس اللذين بقيا في قدميها، فلم يكونا مثاليين للتنقل بين الناس. هذا بالإضافة إلى عدم امتلاكها للمال. مع أنها كرهت أن تكون مدينة له، لكن هل لديها خيار آخر؟

- آسفة لأنني سببت لك المتاعب. أنا واثقة أن لديك أشياء أهم تنشغل بها.

- نعم.

قالت مجدداً: «آسفة».

ارتجفت شفتا ماثيو، فعلى الرغم من قولها كلمة «آسفة» لكن الشعور الكامن وراء تلك الكلمة بدا له «اذهب إلى الجحيم».

- ماذا قال الطبيب؟

وجد ماثيو روز جذّابة بلباسها هذا أكثر مما كانت عليه في غرفة نومه

تلك الليلة، وتساءل ألا يجعله هذا التفكير منحرفاً عقلياً؟

- قال ما قلته سابقاً: أنا بخير. قال أيضاً إنني محظوظة.

أخذت روز نفساً عميقاً. إذا كان الرجل لا يروقها، فهذا لا يبرّر تصرفاتها السيئة تجاهه، فقد خاطر بحياته لينقذها. أضافت: «وأنا كذلك حقاً. شكراً لك».

نظر ماثيو لحظة إلى اليد التي مدّتها روز نحوه، وحين اعتقدت أنه سيتجاهلها، أمسك بيدها وصافحها.

من الصعب على المرء نكران انجذابه القوي إلى شخص تفاعل معه بهذه الطريقة لمصافحة عادية بسيطة. ابتلعت روز ريقها وهي تتساءل عن سبب الرعشة الكهربائية التي ضربت جسمها.

هل أحس بها هو أيضاً؟

دفعت الفكرة بعيداً، ومرّرت لسانها على شفتيها الجافتين وهي ما زالت تشيح ببصرها عنه. وجهت كلماتها إلى الحائط فوق كتفه الأيسر، قائلة بصوتٍ متهدج: «أحتاج فعلاً إلى العودة».

لوى ماثيو رأسه الداكن الشعر قبولاً لطلبها وسألها: «هل قلت دار دورني؟».

ضاقت عيناه وهو يركز تفكيره على خريطة للمكان في ذهنه.

- هذا صحيح.

- يقع المكان بجانب طريق أنيرنس. أليس كذلك؟

رفعت يداً إلى رأسها وقالت: «أظن ذلك».

فيما لاحظ ماثيو حركة روز الدالة على إنهاكها الشديد، تفاجأ لشعوره بغرائز الحماية لديه تتحرك بقوة. ذكّر نفسه بحقيقة تلك المرأة، لكن وجد من الصعب أن يوفّق بين المرأة المغامرة في ذاكرته وهذه القامة المنهكة البيضاء البشرة التي تغلبت على الموت لتوها... من دون أن تذرف أي دمعة.

- مرت بك أحداث شاقة هذا الصباح، تعالي!

لا بدّ أنها تشعر بالتعب لأنّها لم تعترض حين أمسكها من ذراعها ليرشدها إلى الطريق.

٤ - امرأة وثلاث رجال

سأل ماثيو حين جلس إلى مقعد السائق بجانب روز: «هل أنت متأكدة من أن الطبيب طمأنك أنك بخير لتغادري المستشفى؟».

لا بد من التساؤل عن جدارة ذلك الطبيب الذي أرسل امرأة تبدو على وشك الانهيار كلياً إلى المنزل.

هزّت روز رأسها إيجاباً، لكنها لم تذكر له أن الطبيب سمح لها بالمغادرة على شرط أن يهتم بها أحدهم في المنزل. المنزل... يا للسخرية! بعد أن تخاصمت مع أفراد عائلتها بسبب إصرارها على المغادرة، ها هي تعاني من الاشتياق إلى موطنها منذ وصولها إلى هنا.

- هل انتقلتِ للعيش هنا، أم أنك تزورين أحدهم؟

لو أن المتحدث شخص آخر، لظنت روز أنه يحادثها ليمنحها وقتاً تستجمع فيه قواها. رفعت يدها لتمسح الرطوبة من زاوية إحدى عينيها، قائلة: «لدي عمل هنا، فأنا أنظم مجموعة كتب السيد سميث في بيانات».

- تنظمين كتباً في بيانات؟

لم يتخيل ماثيو مطلقاً جواباً مفاجئاً كهذا.

- نعم، حين لا أنشغل بإغواء الرجال في غرفهم في الفنادق، أعمل أمينة مكتبة.

انفجر ماثيو بالضحك فشعّت عينا روز الصفراوان الضاربتان إلى الحمرة بضوء قوي.

www.elromancia.com

- ما المضحك في الأمر؟

نظر ماثيو إلى روز نظرة جانبية سريعة.

- حسناً! عليك الاعتراف أنه ليس... حسناً! من يراك لا يتصور أنك..

أدار ماثيو رأسه مجدداً. موجّهاً عينيه إلى الطريق مجدداً. وما لبث أن ضحك مجدداً وهزّ رأسه إلى اليمين وإلى اليسار، وقال: «... حسناً...! إنك أمينة مكتبة، صغيرتي».

بدت الكلمة الأخيرة حميمة لأنه قالها باللغة الفرنسية مع أنه قصد بها التهكم.

- يبدو أنك تملك فكرة سيئة عن أمينة المكتبة، سيد ديمتريوس.

ثم تابعت في سرها: حسناً، روز! لن تعرفي ما الذي يفكر به هذا الرجل بالتحديد. آه سوف تحتاج إلى علاج نفسي بعد لقائها بهذا الرجل.

- أتمانعين إن مررت بالمنزل الريفي لأخبر جايمي عمّا حدث؟

من دون أن ينتظر إجابة روز، توجّه ماثيو بسيارته إلى منعطف حادّ. بدت بوابة المدخل التي مرّ بها كبيرة جدّاً، لكن الطريق الخاص المحاط بالأشجار من كلا الجانبين كان مليئاً بالحفر.

قضت روز وقتاً كافياً في ذلك المنزل الريفي، لتعرف أن مليونيراً سكوتلندياً يملكه، وهو شخص مهم جداً. افترضت أن شخصاً كماثيو يعرفه حق المعرفة.

- هل تقيم هنا؟

هزّ ماثيو رأسه وهو يجتاز بصعوبة حفرة على الطريق، وقال: «شارك جايمي في سباق واحد فقط...».

- هل أصيب؟

شرح لها ماثيو: «لا، هو فقط يحتاج... جايمي سائق ذكي، لكنه

يفتقر... أفترض أنه ليس قاسي القلب بما يكفي، جايمي...».

توقف قليلاً ثم أردف: «هو ألطف مني».

- هذا الشرح غير ضروري، أؤكد لك.

جوابها هذا أضحك ماثيو، ولم تستطع روز إلا أن تلاحظ مدى جاذبية ضحكته.

* * *

قاد ماثيو السيارة إلى منطقة مرصوفة بالحصى أمام المنزل. في الواقع، لم يتبقَ الكثير من الحصى فيها لكن هناك الكثير من الأعشاب الضارّة رغم أن المنزل نفسه، وهو مبنى ضخم الطراز مبني من الحجارة المتراصفة، بدا مؤثراً.

بدا كأن ماثيو يقرأ أفكار روز حين قال: «يعود الحجر الأصلي إلى القرن الخامس عشر، وأعتقد أنه تعرض للحريق. انتظري هنا، سأخبر جايمي.. آه! ها هو...».

أدارت روز رأسها في الوقت المناسب لترى رجلين يمشيان حول المنزل. أحدهما طويل القامة، أشقر الشعر، افترضت أنه مالك الأرض، أما الآخر فكان رب عملها. بدأت تشدّ بمقبض الباب كي تفتحه، وفي تلك اللحظة عرفت لماذا بدت لها السيارة المتوقفة في مكان قريب مألوفة.

انحنى ماثيو والتقط ذراعها قائلاً: «ماذا تفعلين؟».

ردّت روز، وهي تبتعد عنه أكبر مسافة ممكنة: «هذا السيد سميث».

وأردفت: «أنا أنظم كتبه».

أدار ماثيو رأسه في الاتجاه الآخر، صُورة رب عمل روز التي تشكلت من قبل هي صورة رجل يكبر هذا الذي يتكلم مع جايمي بعشرين عاماً على الأقل.

- هل تقطنين لديه؟

هزّت روز رأسها إيجاباً، متفاجئة بالتغير الغريب في وتيرة صوته، إلا أنها ارتاحت لأن ماثيو لم يعد يضغطها إلى مقعدها بذراعه. لم يخطر ببالها قط أن ماثيو لربما يتساءل عن ترتيبات نومها، ولو أنها عرفت ما يجول بخاطره لضحكت بالتأكيد.

روبيرت سميث، بالرغم من أنه شاب وحسن المنظر، إلا أنه ليس جذاباً على نحو مميّز، كما أنه غير ودود، ولا يملك حس الدعابة.

- ابقي هنا. سأشرح ما حدث.

* * *

حيّاه جايمي بمزاجه المرح الاعتيادي النابع من صميم قلبه. إلا أن ملامحه انقبضت حين شرح له ماثيو ما حدث.

- أنت محظوظ لأنك ما زلت على قيد الحياة، يا صديقي.

وافقه روبيرت سميث: «نعم، هذا من حسن حظك».

وتابع: «لكنك تقول إن الآنسة هول لم تتأذَّ، وإن الطبيب أفاد أنها في حالة جيدة. أليس كذلك؟».

- من الواضح أنها ما تزال تحت تأثير الصدمة.

- أنا متأكد أنها ستنسى الأمر كلياً، حالما تبدأ بالعمل.

- العمل؟

تورّدت وجنتا الرجل الآخر من جرّاء النظرة التهكمية التي رمقه بها ماثيو.

- في الواقع... اعتقدت... لدي جدول أعمال و...

- تحتاج المسكينة إلى فترة استراحة.

تراجع روبيرت سميث بوضوح من وهج الغضب في عيني الرجل الآخر.

- آه! إن كان هذا ما أوصى به الطبيب، سأحرص على أن...

تشدّق جايمي قائلاً وهو يضع يده برفق على ظهر الرجل: «روبيرت!

لِمَ لا تدخل وتلقي نظرة على تلك الكتب؟ تركتها على الطاولة في الرواق».

قبل الرجل الآخر الدعوة إلا أنه اندفع نحو اللاندروفر برشاقة قائلاً: «سأذهب لأطمئن على الآنسة هول أولاً».

قال جايمي بنبرة منخفضة ملؤها التسلية بينما بدأ الرجل الآخر يمشي باتجاه اللاندروفر: «أظن أنك أخفته».

قال ماثيو بازدراء: «أظن أن الرجل... غبي».

قال جايمي بنبرة جافة: «نعم، هذا ما يبدو».

ثم نظر إلى اللاندروفر بفضول وقال: «هو غبيٌ، لكنه جنى الكثير من المال في المدينة، وتقاعد وهو ما يزال شاباً. أظن أنني سأبيعه بعض الكتب القديمة كسباً للمال، إذ يبدو مهتماً بشأنها، حسناً! ماذا عن الفتاة؟ هلا عرفتنا ببعضنا؟».

استأنف كلامه فيما اقتربا من اللاندروفر: «لِمَ لا أحصل على فرصة كي ألعب دور الفارس المنقذ للفتيات في الأوقات الصعبة؟».

تبعت نظرة ماثيو اتجاه تحديق جايمي، فرأى روز تترجّل من اللاندروفر بناء على إشارة من سميث. تجعّد جبينه وهو يراها تهزّ رأسها إلى الأمام وإلى الخلف متحدثة إلى الرجل الآخر، ثم بدأت تمشي باتجاههما.

- تغيرت كثيراً... منذ وجودها في موناكو.

لم يدرك ماثيو حتى إنه تفوه بما فكرّ به إلا حين تكلم جايمي.

- أتعرفها؟ يا إلهي! كم يبدو الأمر غريباً!

اتسعت عينا جايمي تقديراً، ثم صفّر بصوت منخفض بينما اقتربت روز منه. قال لصديقه: «هل من فرصة لتعرفني بها، مات؟».

رمقه ماثيو بنظرة ملؤها السخط. ثم ردّ: «بالكاد أعرفها.. التقينا...».

توقف بعد أن أصبحت روز على مسافة تسمح لها بأن تسمعه. بالرغم من لباسها غير المألوف وشعرها الأشعث، وقفت نظر إليهما بكرامة وجمال يكفيان لإيجاد عذر لاندفاع جايمي الطفولي.

قالت وهي تهز رأسها نحو جايمي فيما اضمحلت ابتسامتها حين نظرت إلى ماثيو: «مرحباً».

ثم قالت على نحو مرتبك: «سيوصلني السيد سميث. أريد أن أشكرك... لأنك أنقذت حياتي، وآسفة لأنني سببت لك الكثير من المتاعب».

قاطعها جايمي متقدماً بخطواته، وماداً يده ليعرّفها بنفسه: «إنقاذ حياتك؟».

ثم تابع: «قلّلت من أهمية إنجازك مات».

فيما رمق صديقه بنظرة جانبية ملؤها التسلية قائلاً: «لكن هذا ما عهدناه في ماثيو، البطل المتواضع».

بدا هذا البطل المتواضع غاضباً وغير مرتاح على الإطلاق، فيما اتسعت ابتسامته.

أضاف جايمي: «بالرغم من تواجدنا في مكان بهذا الحجم، إلا أننا لم نلتقِ بسبب عامل الوقت فحسب، أنا جايمي».

- أعرف... مالك الأرض.

- في الوقت الحاضر. لكنني أتمنى أن يقوم مات هنا بعمل خارق، ويبقي وكلاء الأراضي بعيداً.

صعب على روز أن تعرف من نبرته إذا كان يمزح أم لا، لكن ما بان بوضوح هو ثقته بقدرة ماثيو على تحقيق المعجزة. وجدت نفسها تتمنى أن يتمكن ماثيو من القيام بذلك، إذ وجدت أن من الصعب ألا يحب المرء مالك الأرض الشاب اللطيف.

ألقت نظرة معبرة على ثيابها قبل أن تحرر يدها، وتلف ذراعيها حول

جسمها قائلة: «أنا روز. أرجوك اعذرني... سأذهب وأنتظر في السيارة، إنها أكثر دفئاً».

ابتسمت روز للمرة الأخيرة قبل أن تدير رأسها وتنطلق.

قال جايمي بصوت منخفض وهي تعود إلى السيارة في مكان قريب: «أظن أنني أعجبتها».

- إذاً، ما نوع الكتب التي تود بيعها؟

بدا للحظة أن تغيير ماثيو للموضوع ناجح، لكن جايمي توقف عن الكلام ووجه نظرة حادّة إلى صديقه قائلاً: «موناكو...؟!».

هزّ ماثيو كتفيه وتظاهر بتجاهله الموضوع.

- يا إلهي! إنها هي. أليس كذلك؟ الشقراء التي دخلت غرفتك ليلة الاحتفال في السفارة.

لم تظهر تعابير ماثيو أي شيء وكذلك لسانه الذي امتنع عن الكلام، رغم أنه شك في وقتٍ لاحق أن يكون ذلك مجدياً.

- أأعتبر هذا السكوت علامة الرضى؟

أطلق جايمي صفرة خافتة، أتبعها بضحكة متقطعة، وأقرّ بأسف: «امرأة كهذه لا تبدو مناسبة للعمل مع سميث... لأكون صادقاً، لا تبدو روز من النوع الملائم له».

وأضاف: «ليس لدي الكثير من التجارب في ما يخص النساء اللواتي يحاولن إغواء رجال لم يلتقينهم من قبل. هل كانت عارية تماماً؟».

رمق ماثيو جايمي بنظرة جافة خاطفة، فرفع جايمي يده ليهدىء من روع صديقه قائلاً: «حسناً! لا حاجة إلى الغضب. هل أنت متأكد من أنه لم يحدث شيء؟ أعني، ألم تنشأ بينكما مشاعر محمومة على الجليد؟».

اتسعت ابتسامة جايمي ورفع حاجبه متسائلاً.

لم يرد ماثيو الابتسامة، بل قال بطريقة غير ودودة: «لديك خيال مفرط، جايمي».

هذه المرة، قرأ جايمي مؤشر الإنذار في تعابير الرجل الآخر. فرد بطريقته الهادئة: «إن كان هذا ما تقوله...».

وأضاف: «لكنني أعتقد أنك أحد الرجال القلائل في الكون الذين يغضبون كثيراً لرؤيتهم امرأة جميلة شقراء في سريرهم».

تحول حاجبا ماثيو الداكنان إلى خط مستقيم فوق أنفه المعقوف. ثم قال والسخط في صوته موجه على الأغلب إلى نفسه: «لا أعرف ما الذي دهاني لكي أخبرك عن الموضوع».

ذكّره جايمي: «لم يكن لديك خيار بعد أن سمعتك توبّخ طاقم الفندق لتقصيره في حماية خصوصية غرفتك».

وتابع: «ألم تشعر بالإغراء لتأخذ ما عرض عليك؟ أعني، تبدو روز جذابة حقاً».

تبعث تنهيدته التواقة ابتسامة وقحة. ابتسامة أثارت لدى ماثيو مشكلة ما. إلا أن جايمي استكمل تفكيره بالشقراء غافلاً عن حقيقة مواجهة صديقه لدوافع عنيفة: «أتساءل إذا كانت ترغب بأن تأتي وتنظم مجموعة كتبي بعد أن تنهي عملها مع سميث؟».

فجأة، اضمحلّت نظرة جايمي الماكرة الهزلية والموحية أمام ومضة الغيظ الشديد التي ظهرت على وجه صديقه.

في تلك اللحظة، تنحنح روبيرت سميث معلناً وجوده.

استدار الرجلان باتجاهه في اللحظة نفسها.

- أنا متأسف جايمي، لأن الكتب... حسناً! هي ليست ما أبحث عنه.

تقبل جايمي الخبر بهزة من كتفه تعبر عن هدوء باله، وقال: «حسناً! ليس بالأمر المهم».

- لدي صديق قد يبدي اهتماماً بها. سأذكر الموضوع له إذا أحببت. بالرغم من ذلك أخشى أنها غير قيمة حقاً.

سمع ماثيو نفسه يقول: «سأشتريها».

تفاجأ جايمي بالعرض بقدر ما تفاجأ به ماثيو، فقال: «لا تعرف أي نوع من الكتب هي».

- لدي رفّ كتب فارغ.

- حسناً، إذاً! سأنصرف.

تجعدت شفتا ماثيو في ابتسامة ازدراء وسأله: «ماذا بشأن الجدول؟».

كافح الرجل الآخر ليرد الابتسامة: «سوف نرى... أشكرك مجدداً لمساعدتك الآنسة هول».

ضاقت عينا ماثيو فيما راقب سميث وهو يركب السيارة قرب روز. وعلّق قائلاً: «لا أحب هذا الرجل».

قاوم جايمي ابتسامة، وقال مربتاً على كتف ماثيو: «وقد أخفيت هذا الأمر بشكل جيد جداً».

ثم تابع: «بما أنك تحقق نجاحاً مع أصحاب رؤوس الأموال، ماذا عن وضعي المالي؟ هل ثمة بصيص أمل؟».

مدركاً همّ صديقه الحقيقي، ذلك الهم الكامن وراء استخفافه وطيشه، حوّل ماثيو مسار تفكيره عن أمينة المكتبة، وهي احتمال بعيد، إلى وضع صديقه المالي مجدداً.

٥ - أريد عملاً

- أنا آسف، آنسة هول. إنني مضطر إلى تركك تذهبين.

أطبقت روز فكّيها، وأدارت رأسها، وراحت تحدق خارج النافذة من دون أن ترى مشهد هايلاند الساحر المغطى بقشرة من الثلج. ضغطت عينيها بقوة، وهزّت رأسها يميناً ويساراً. لم تكن لديها أدنى فكرة عمّا سيحدث بعد هذه الكلمات، لكنها لم تتوقع أن تؤمر فجأة بمغادرة المكان.

- تركي أذهب؟

- أعتقد أنه لم يعد بإمكاننا العمل معاً.

- هل تصرفني من عملي؟

طغى الشعور بالاندهاش على شعور روز بالغضب، وعلى الأرجح أن هذا الأخير سوف يأتي لاحقاً... وهذا ما حصل فعلاً. تابعت تقول: «لكنني لا أفهم. هل لديك أي شكوى على عملي؟ أتقول ذلك بسبب قضائي بقية النهار في السرير البارحة؟ في الواقع، كنت لأعمل لو...».

أقر روبيرت سميث بصرامة: «كان عملك جيداً».

ثم أردف: «إلا أن أموراً أخرى لفتت انتباهي».

- أي أمور؟

بدأ روبيرت يحرك أشياءً على طاولته من دون أن يوجه نظراته إليها. وأجاب: «فكّرت بالأمر قليلاً البارحة».

ثم تنهد ورفع رأسه ليردف: «ولسوء الحظ، استنتجت أنه من غير الملائم لامرأة مثل...».

توقف روبيرت عن الكلام وتنحنح.

- لامرأة... مثل ماذا؟

زمّ روبيرت شفتيه، وأخفض نظراته الخالية من الحماسة وراء نظارتيه ذات الإطار العظمي، وقال: «هذا مجتمع صغير، وليس ثمة أسرار تُخفى. إن مغامراتك الباهرة روز، ستصبح شائعة على كل لسان».

كررت روز وهي لا تزال جاهلة عما يتكلم: «مغامراتي الباهرة؟».

اعترف روبيرت: «إنَّ الناس هنا ذوو أفكار قديمة الطراز، وبما أنني اخترت السكن هنا، عليَّ أن أحترم قيمهم. ساورني بعض القلق في البداية بالنسبة إلى بقاء فتاة يافعة مثلك هنا...».

فكّرت روز، يا إلهي! هل يظن كل رجل ألتقي به أنني أنوي إغواءه؟

فيما تابع روبيرت: «...لكن بما أنك كفوءة أزحت قلقي جانباً. أما الآن، أصبح هذا غير ممكن مع تاريخك المشكوك فيه».

ضحكت روز، ولم تتمكن من كبت نفسها، إذ بدت الفكرة مثيرة للضحك حقاً. وما لبثت أن صعقتها بومضة ساطعة. ضاقت عيناها، وسألته بصوت هادىء خطير: «هل تحدثت إلى ماثيو ديمتريوس؟».

لم يكن من داع لقوله «سرك محفوظ عندي»، فهو لم يُطق انتظاراً لينشر أكاذيبه الوضيعة.

يا له من حقير! لم يكتف بإهانتها شخصياً، بل عقد النية على التصرف بخبث متعمد ليقضي على سمعتها، أو بالأحرى سمعة ريبيكا. يا له من مغفل مخادع حقود!

- بالطبع، سأدفع لك أجرك حتى نهاية الشهر.

إلا أن روز وجدت نفسها غير قادرة على الامتناع عن إخبار رب

عملها السابق أنها لن تمسّ ماله، ولم يُبدِ روبيرت استعداداً لتكرار العرض عليها، لا سيما بعد أن صارحته برأيها فيه.

* * *

طلبت روز من سائق السيارة أن ينتظر، وبدا ذلك قراراً متهوراً نظراً إلى وضعها المالي لكنها لم تشأ أن تلتمس من أحدهم أن يوصلها إلى المحطة بعد أن تفجر قنبلتها في الداخل.

من فتح لها الباب الضخم المصنوع من خشب السنديان لم يكن خادماً مرتدياً زيّه الرسمي بل شقيقة جايمي ماكغريغور التي تمضي إجازتها المدرسية في المنزل. تحوّلت نظرة الصدمة في عيني الفتاة إلى ابتسامة حذرة. وقالت بارتباك: «آه! مرحباً. رأيتك البارحة، ربما أنت لم تريني».

كانت روز منشغلة البال جداً لتتساءل عن سبب تصرف المراهقة الغريب، فأجابت: «لا، لم أركِ».

- تعملين للسيد سميث؟

- لم أعد كذلك.

- هل تريدين جايمي؟

- أريد ماثيو.

لاحظت الفتاة الصغيرة عزم روز من خلال خديها المتوردين وعينيها الغاضبتين وأسنانها المطبقة بقوة، فأطلقت ضحكة متوترة: «أنا آسفة... الأمر أنه... لا أظن أن...».

قاطعتها روز: «لا أكترث إذا كان مشغولاً أو غير مستعد أو أي شيء آخر، لأنني أنوي رؤيته سواء أراد رؤيتي أم لا».

- أنا، حقاً...؟ إنهما...

- أريد ماثيو.

- كم أشعر بالإطراء!

استدارت روز على عجل وهي تدير رأسها مستعدة للجدال لدى رؤية قامة ماثيو الطويلة تظهر فجأة بالقرب من كتف الفتاة. ارتفعت نظراتها من حذائه المصقول المصنوع يدوياً إلى شعره اللامع. كانت هذه المرة الأولى التي تراه فيها بثياب رسمية جدّاً هي عبارة عن بذلة وربطة عنق. عليها أن تعترف أن ماثيو ببذلته هذه بدا رائع وشديد الوسامة، فقد بدا طويل القامة جذاباً، وأبرزت الخياطة المتقنة لسترته الداكنة ذات القصّة الأنيقة عرض كتفيه الواسعتين كما أن سترته المفتوحة أظهرت تحتها قميصاً بيضاء مصنوعة من قماش رقيق.

- ما الذي تقصده من وراء اختبائك بهذا الشكل؟

رفع ماثيو أحد حاجبيه بسخرية، ثم أرخى عقدة ربطة عنقه، وسمح لعينيه أن تجولا فوق ثنايا جسدها. ففي الواقع، هو لم يستطيع أن يكبح نفسه عن هذا الأمر. قال شارحاً: «أنا في طريقي إلى إدنبرغ».

وبما أن ماثيو يملك النفوذ الاقتصادي الذي يتماشى مع اسم ديمتريوس، استطاع أن ينظم لقاءً مع المصرف الذي يهدّد بألا يمد جايمي بالمال، خلال بضع ساعات فقط.

اعترض أصحاب رؤوس الأموال على الفكرة في بادىء الأمر، لكنهم أحبّوا خطّته بعد حين، واعتبروها مبتكرة وجريئة.

وضع ماثيو شرطاً واحداً فقط، وهو ألا يعرف جايمي مطلقاً هوية المستثمر الجديد.

نظر بحرص إلى وجه زائرته المحمر غضباً ولوى رأسه، ثم قال من دون أن يصرف نظره عن روز: «فيونا، أظن أن جايمي كان يبحث عنك».

بعد لحظة من الامتناع وبعض النظرات الفضولية، انصرفت الفتاة اليافعة.

- هل يمكنني أن أدخل أم عليَّ أن ألتف كي أدخل من مكان آخر؟

www.elromancia.com

انحنى ماثيو قليلاً، وخطا بضع خطوات إلى الوراء ليسمح لروز بالدخول، ثم دفع أحد الأبواب التي تؤدي إلى الردهة ليفتحه قائلاً: «يمكننا أن نحصل على بعض الخصوصية هنا».

همهمت روز وهي تتبعه إلى داخل الغرفة: «أصبحت تقدر الخصوصية فجأة. أليس كذلك؟».

راقبته وهو ينحني ليرمي حطبة من كومة الحطب الموضوعة قرب الموقد الحجري الكبير على النار، ما أعطى بريقاً إلى الغرفة المعتمة، فرقعت الحطبة في النار الملتهبة، كذلك فعل مزاجها حين استدار ماثيو. أسند كتفيه إلى رف الموقد الحجري الناتيء، ثم قال بتهذيب: «كيف يمكنني أن أساعدك؟».

- اتركني وشأني.

أطبقت روز شفتيها لتمنع انفلات المزيد من الردود الطائشة التي أعطته فرصة لينظر إليها بتلك الطريقة الفوقية.

تحسّر ماثيو وعيناه تلمعان بسخرية، بينما راح يفك ربطة عنقه بلا مبالاة: «كم تتغير الأمور!».

ثم أضاف: «ظننت أنك مختلفة، روز».

نظرت إلى وجهه بحقد متجدّد.

- كنت معجبة بي أكثر في ما مضى، لكن المرء يعرف من هم أصحابه الحقيقيين حين يخلّف وراءه سحر حلبات السباق.

- أنا متأكدة من أنه ما زال لديك جمهور من الطفيليين المستعدين ليعتبروا كل رأي أحمق لك ذكياً ورائعاً، فالرجال أمثالك محاطون دائماً بأشخاص كهؤلاء.

- هل عرفت رجالاً كثراً مثلي؟

- لا، لحسن حظي! لو أحسست بأحدهم يقترب من جهتي، لابتعدت إلى الجهة الأخرى.

زمَّ ماثيو شفتيه، وأصدر صفرة خافتة وقال: «أحدهم يعاني من مزاج سيء هذا الصباح».

- هذا الصباح كان لدي مكان آوي إليه.

ابتعد عن رف الموقد الحجري، وخطا خطوة باتجاه روز: «والآن، ألم يعد لديك واحداً؟».

- لا، لا مكان آوي إليه ولا عمل.

- هل استقلت؟

- لا، تمَّ صرفي من العمل.

- هل صرفك سميث؟

بدا على تعابيره الازدراء وهو يفكر في الرجل الآخر، ثم أضاف: «لم أتوقع حصول هذا».

هذا الأمر يفسر مزاجها السيء بالطبع، لكنه لا يفسر وجودها هنا.

أغضبتها نبرة التسلية في تعبيره، وقالت: «كاذب!».

تجمّد ماثيو. سألها: «بماذا نعتّني؟».

رفعت روز ذقنها وهي مستعدة لمحاربته، ووضعت يديها على وركيها. لن تسمح له بأن يخيفها، بالرغم من تلك النظرة التي أوحت بأنه أشبه بحيوان غاب مفترس على وشك الانقضاض.

رفعت ذقنها أكثر، وردّت: «سمعتني».

ثم أضافت: «لديك صفات كثيرة، لكنك لست أحمق».

أجابَ ماثيو وصوته يقطر سخرية: «شكراً».

- كان يجب عليك أن تفكر بالنتائج حين أخبرت الجميع أنني امرأة مستهترة.

- لم أقل شيئاً من هذا النوع لأي كان.

توقف ماثيو وبدا على وجهه ملامح فهم مؤلمة، بينما صفع جبينه بيده وشتم.

رفعت روز رأسها بعنف وقالت: «حسناً! أفترض أنه نوع من الكلام الذي يمكن أن ينساه أي كان...».

نظر إليها وهو مقطّب الجبين قلقاً وقال: «لا أصدّق أنه صرفك».

أجابت روز: «ولا أصدّق أنك مهتم».

ثم تابعت: «لكنني لا أعرف حقاً لما يصعب عليك تصديق الفكرة. ماذا توقعت أن يفعل رب عملي حين أخبرته أنني امرأة فاسقة... أن يزيد راتبي؟».

ارتجفت شفتاها، وانزلقت دمعة من زاوية عينها. همهمت روز وهي تزيلها: «اللعنة!».

انخفض رأسها وهي تكافح لتستجمع قواها، بينما تأمل ماثيو انحناء رأسها وراقب كتفيها النحيلتين المحدودبتين وهما ترتجفان. أحسّ بحاجة غريبة حثّته ليأخذها بين ذراعيه، تبعتها حاجة مماثلة قوية جداً ليخنق رب عملها الغبي.

- أنا لم أخبره القصة.

توقع ماثيو أن تقاوم روز حين وضع يداً عند أسفل ظهرها ووجهها تجاه الكرسي الأقرب، لكنها لم تفعل. قال: «اجلسي قبل أن تسقطي على الأرض».

نفاد صبره أخفى القلق الذي لم يشأ أن يحس به. لِمَ عليه أن يشعر بالمسؤولية؟ ليس خطأه أنها عملت عند شخص محدود النظر إلى الأمور وغير متسامح. مهما كان ظنها به، فماثيو لم يختلق حكايات بشأنها. ظهر الشك على وجهه ثم قال: «لم أخبره القصة قط، أفترض أنه سمع شيئاً مما قاله جايمي».

أزالت روز شعرها عن وجهها بساعدها، ونظرت عالياً إلى ماثيو، غير مصدّقة ما تسمع. وصاحت: «يا إلهي! هل من أحد لم تخبره بعد؟».

- كان جايمي في الفندق تلك الليلة. سمعني أتذمر من أمن الفندق وانتزع الخبر مني بالحيلة. حين رآك، خمّن...

قاطعته روز: «لا بدّ أنك تفوّهت ببعض التفاصيل».

- جايمي لا يفوّته شيء، وإذا كان هذا يريحك، فقد سقطت منزلتي من عينيه منذ أن رآك.

مع ابتسامة جافة، رفعت روز رأسها، وقالت: «أشك في هذا».

- أعتقد أنني أنا... المذنبة.

التفت الاثنان في وقت واحد بينما تأرجح الباب إلى الداخل لتظهر منه فيونا، وقد بدت على وجهها إمارات الشعور بالذنب.

انتفض حاجبا ماثيو في استنكار وسألها: «فيونا، هل كنت تسترقين السمع؟».

- نعم... لا، الأمر هو أنه... لم يكن الأمر مقصوداً في تلك المرة.

ارتفع حاجبا ماثيو تعجباً: «تلك المرة؟».

انزلقت عينا فيونا من عيني ماثيو، بينما مشت متثاقلة بائسة وهمهمت: «سمعتك وجايمي تتكلمان عن موناكو وعن الفندق و...».

ثم رفعت عينيها باتجاه روز وتابعت: «.. عنك... قالت غرايس...».

مرّر ماثيو يداً على فكّه، وتساءل: «من هي غرايس؟».

كررت فيونا، وهي تبدو ناقمة: «من هي غرايس؟!».

وتابعت: «أنت تعرف من هي، لطالما كانت صديقتي المفضلة، منذ كنت في سن الرابعة. على أي حال... يدير أبوها مركز التسلّق. أخبرتها بالأمر عبر رسالة إلكترونية، وهي راسلت إيلي، وعلى الأرجح أن إيلي أرسلت بريداً إلكترونياً إلى بضعة أشخاص آخرين».

تنفست روز بارتجاف، وقالت: «آه، يا إلهي!، ليس سميث وحده

من عرف بهذه القصة».

سمع ماثيو النبرة الهستيرية في صوتها لأنه نظر إليها بغرابة قبل أن يهزّ رأسه بعنف باتجاه المراهقة ويصيح بها: «اخرجي!».

خرجت فيونا من الغرفة بسرعة، فيما ارتفع صوت روز وهي تقول: «طالما أنني أعمل جاهدة، فحياتي الخاصة لا تعنيه، هذا المتزمت المنافق. قال إن الناس قد يأخذون فكرة خاطئة عن علاقتنا. هل تتخيل ذلك».

ثم أضافت مع ضحكة مريرة: «علاقة مع ذلك الغريب البارد... يا إلهي!».

وهمهمت: «أفضل العلاقة معك».

- آه! أشعر الإطراء.

فكرت روز أن هذه المقابلة لا تسير كما هو مخطط لها.

نصحته قائلة: «لا تشعر بهذا».

وأردفت: «إن كان من شخص أحتقره أكثر من متزمت منافق، فهو رجل يتباهى بفتوحاته أمام الرجال».

ارتفع حاجبا ماثيو الداكنان، وسألها مستغرباً: «فتوحات؟».

وتابع: «لا شك أن ذاكرتك للمناسبة مبهمة، لكننا في الواقع، لم...».

- لأنني لم أكن مناسبة كفاية.

على الرغم من إحساسها بالمذلة لرفضها باسم اختها، أحسّت بالارتياح أيضاً لأن ماثيو قاوم تقرّب ريبيكا، لأنه لو لم يفعل لشعرت بالغيرة!

خطفت روز نظرة إلى الرجل المسؤول عن إحساسها الغريب هذا. لم تشعر قط بالغيرة من شقيقتها التوأم بالرغم من وجود سبب لذلك. لطالما كانت ريبيكا هي الموهوبة، والنحيلة، والشغوفة. وهي التي

ينجذب إليها الرجال. إلا أن ماثيو لم يكن واحداً منهم.

- كنتِ ثملة.

بغضب شديد، قالت روز من وراء صرير أسنانها: «لم أكن أنا».

وتابعت: «كم مرّة عليَّ أن أقول لك ذلك؟ يا إلهي! لكنك تصدر الأحكام كثيراً. ألم يخطر ببالك قط أنه ربما هناك سبب لتصرفها ذاك؟ سبب لا علاقة له بكونك لا تقاوم، ما دفعها لتفعل ما فعلته تلك الليلة؟ ألم يخطر ببالك أنها ربّما كانت تمرّ بوقت حرج في حياتها؟ وأنها ربما اكتشفت أن خطيبها، الرجل الذي تخلّص منها في المذبح، شاذ؟».

راقبها ماثيو بينما توقفت عن الكلام لتحبس أنفاسها. فكر أن استعمال روز صيغة الغائب هو على الأغلب نوع من إنكار الذات...

- أكنت مخطوبة وعلى وشك الزواج؟

ظهر تغير في صوت ماثيو العميق لم تستطع روز فهمه تماماً، لكنها عرفت فوراً أنها ارتكبت خطأً تكتيكياً.

أغمضت عينيها بقوة، وهمهمت ساخرة في سخط مطلق. بعدئذٍ رفعت صوتها عالياً وقالت: «لست أنا. لسنا نتكلم عني».

لكن بدا على ماثيو أنه يتكلم عنها: «بالطبع، لا!».

قال هذا بطريقة غير صادقة ما حثَّها على الصراخ. أخفض ماثيو بصره لينظر إلى يديه، فوجد أنهما مشدودتان في قبضتين من كلا جانبيه. أخذ نفساً عميقاً، وأجبر عضلاته المتوترة أن ترتاح.

- من كان خطيبك؟

- اسمع! لا أريد حقاً مناقشة حياتي الشخصية معك.

- على الأقل تعترفين الآن أنها حياتك الشخصية.

قلّبت روز عينيها في سخط. ما نفع نكرانها ما دام ماثيو لن يقتنع؟

أما هو فأردف: «لا بدّ أنها كانت صدمة لك. أفهم هذا، لكنني متأكد من أنك لو تأملت في الأحداث الماضية، ستوافقين على أن

الثمالة وإغواء الغرباء ليس رد الفعل الأذكى».

- من الواضح أنك لم تقع في الحب قط.

تأملت روز ملامح وجهه في نفور، وفكرت بأنه رهان آمن بوجود حشد من النساء اللواتي يحمن حوله مبهورات بإرثه، وملامحه الداكنة الجذّابة، وابتسامته الساحرة.

زمّ ماثيو شفتيه ومضت عيناه الداكنتان بطريقة لا تثق روز بها، وقال: «لا يجدني البعض لا أقاوم كما تجدينني أنتِ».

- شخص مثلك يمتلك القوة والمركز والمال، يجد الكثير من النساء المستعدات ليتغاضين عن عيوبه الكثيرة.

- لستِ مترفقة في الحكم على النساء.

- أشك في أن يكون لدي أي قاسم مشترك مع معجباتك.

التفكير بهؤلاء المعجبات لم يحسّن مزاجها على الإطلاق. ذُعرت روز حين بدر من ماثيو ضحكة خالصة كلياً... ضحكة خالصة وجذابة. شعرت بالحذر بسبب شعور التوتر الذي أصاب معدتها.

سارعت إلى القول: «قلت ما جئت لأجله، أنا ذاهبة الآن وسوف... لا..».

توقفت روز عن الكلام، ورفعت نظرات عينيها المتوهجتين إلى عينيه قبل أن تضع حقيبة كتفها بثبات شديد قرب الكرسي، وقالت: «لست ذاهبة إلى أي مكان».

لا مجال لذلك. رأت الآن أنه من السخيف أن تتوقع منه حتى القليل من الندم. هذا الرجل بعيد كلياً عن الرأفة.

- قلبتَ حياتي رأساً على عقب، ويمكنك أن تصلح الأمور.

انجلت الابتسامة عن وجه ماثيو، وأجاب: «وكم سيكلّفني إصلاح الأمور؟».

حدّقت روز بماثيو بحيرة: «يكلّفك؟».

وبعد أن استوعبت ما قصده، اضمحل اللون من وجنتيها في الوقت الذي اجتاحتها موجة من السخط الثائر، هذا الرجل الكريه لا يتفوّه بكلمة من دون إهانتها.

صرخت بصوت مرتجف: «أتظن أنني أطلب منك مالاً؟ لن آخذ المال منك ولو كنت ميتة».

نظر ماثيو إليها آخذاً كلامها بعين الاعتبار وقال: «في هذه الحالة لن ينفعك المال، لكن بما أنك على قيد الحياة...».

انتقلت نظراته من الغيظ المتوهج في عينيها المشعّتين لتتأمل ملامح وجهها الناعمة.

أعلنت روز: «لا أريد مالك، أريد عملاً».

بدا على ماثيو الارتباك قبل أن يكرر خلفها: «عملاً؟».

- نعم، أريد عملاً، أريد أن أستعيد ما كان متوفراً لي قبل أن تقرر تشويه سمعتي أمام كل من يستطيع الاستماع إليك.

- لم أفعل هذا. قلت لك...

قاطعت روز شرحه المضجر بتلويحة من يدها تنم عن مللها قائلة: «نعم، نعم، يبدو لي في ظل الظروف الراهنة أن هذا أقل ما يمكنك فعله. تشويه سمعة الآخرين يعتبر جريمة».

هزّت كتفيها، وأبعدت نظراتها عن وجهه، وفكرت أن وسامته الخطيرة المغرية التي لا تقاوم ينبغي أن تعتبر جريمة أيضاً.

تابعت قائلة: «وأنا متأكدة أن لديك فريقاً من المحامين الذين يهمهم ألا يُقال أو يُنشر عنك كلام لا تحبه».

أقر ماثيو: «ليست بفكرة سيئة جداً».

سألت روز متأملة تعبيره المهيب بارتياب: «هل تسخر مني؟».

تقدّم ماثيو خطوة من روز ونظر إليها وهو يميل برأسه الداكن الشعر إلى جهة واحدة. اقترح بنعومة: «يمكنك مقاضاتي».

لازمت روز مكانها بالرغم من أن كل غريزة تملكها راحت تصرخ في داخلها وتدفعها للركض. فالتواجد بهذا القرب منه جعلها تشعر بوخز خفيف في أصابع رجليها وبارتعاش في معدتها.

- لا تظن أنني كنت لأتوانى عن فعل ذلك لو...

توقفت روز عن الكلام وهي تعض شفتها.

- لو... ماذا؟

صرخت: «إذا كنت تملك ذرة من الأخلاق فإنك لن ترضى بأن تسبب قطع أرزاق الآخرين. يجب أن تقر أن خسارتي وظيفتي هي خطؤك، وأن تفكر بتسوية الأمر».

راقبها ماثيو وهي تتنشق بغضب ما سبب لها رجفة لا يستهان بها. راحت العينان الذهبيتان المتوهجتان اللتان التقتا عينيه تلمعان تحت تأثير دموع الغضب. ابتلع ريقه، وكرّر بصوت أقل ارتفاعاً من المعتاد: «تسوية الأمر؟».

في تلك اللحظة بالضبط، الشيء الوحيد الذي أراد ماثيو فعله هو سحبها إلى ذراعيه ومعانقتها. قبل أربع سنوات، قدّر ماثيو جمال المرأة التي قدّمت نفسها له، لكنه لم يشعر بالإغواء، لم يكن من انسجام بينهما. والآن هو لا يحتمل أن يتواجد في الغرفة نفسها معها، أو حتى يشمّ رائحة عطرها من دون أن يشعر برغبة جامحة تجاهها.

ظهر بين حاجبيه الذّاكنين المحدّدين ثلم مذهل، وانجرفت نظرته المتأملة باتجاه ملامح وجهها الناعمة. لقد اشتهرت عنه قدرته على السيطرة على نفسه، ولطالما التقى نساءً أكثر جمالاً. فما هو سرّ هذه المرأة؟ ما الذي يجعلها قادرة على التأثير فيه؟ ولماذا الآن، وليس قبل أربعة أعوام؟

- لكن بالطبع، شخص مثلك لن يفهم ما معنى أن يخسر المرء

مهنته.

ازدادت نظرة روز الغاضبة حيرة وهي ترتاح على وجه ماثيو الداكن. تابعت تقول بحدة: «أنت شخص يعرف معنى خسارة مهنة ما. ليس لكل منا دخل خاص يعتمد عليه».

- لديك عائلة تعودين إليها. لن تموتي جوعاً.

- لديَّ عائلة، ولدي مدّخرات، لكن لا يكمن لب الموضوع هنا، أنا في السادسة والعشرين من عمري، ولا أريد أن أترك أهلي ينفقون عليَّ.

كذلك لم تكن روز تريد أن تسمع من أحدهم: «ألم نقل لك هذا؟».

- تفترضين أنني عشت غنياً مدلّلاً. أليس كذلك؟

من الصعب أن تتخيل أي شيء أقل دلالاً من حياته إلى حد بلوغه الخامسة عشرة من عمره. إلا أنّ تلك السنوات، حين كان ماثيو وأمه فحسب يعيشان الحياة التي يعتبرها البعض حياة محرومة، كانت الفترة الأكثر سعادة في حياته.

لم تكن لدى ماثيو أية طموحات مادية حين أدرك أندريوس أنه ابنه. لكن في السنة الأولى بعد إدراكه هذا، مرت مناسبات عديدة تمنى فيها ماثيو أن يعرض عليه أحدهم فرصة الرجوع إلى الحياة التي عاشها قبل معرفة أندريوس، ولو حصل ذلك لقَبِل العرض من دون تفكير.

شعرت روز بفورة غضب. تشدّقت بكلامها ساخرة: «سأفترض هذا وأنت تقف ببذلتك المزخرفة وحذائك الإيطالي اليدوي الصنع».

وأضافت: «لا أفترض أنك قضيت الليالي قلقاً بشأن دفع الفواتير».

أقر ماثيو معترفاً: «لا، لكنني كنت بحاجة إلى... ما هي العبارة؟ أن أقترض من شخص ما لأرد ما اقترضته من شخص آخر».

نظرت روز إليه بانزعاج وقالت: «آه! نعم. أنا متأكدة أن هذا كان عسيراً جداً».

لمعت في عيني ماثيو ومضة لهو ساخرة، فيما رفع كتفيه في هزّة خفيفة جداً لكنها معبّرة، وقال: «ربما أنت متفاجئة».

نظرت روز إليه باشمئزاز، فبادلها النظرة مع ابتسامة خافتة وثقة جذّابة تغلغلت إلى داخل عظامها.

رفعت رأسها نحوه فجأة، وردّت: «متفاجئة بالطبع لأن رجلاً يضع ساعة يد تكفي لشراء بضعة منازل يعرف ما معنى أن تمتلك القليل من المال».

ثم عقدت ذراعيها فوق صدرها وتابعت بسخرية: «بصراحة، نعم، أنا متفاجئة.. متفاجئة جداً.. فأنت وريث لثروة ضخمة... لثروة خيالية».

عادت تقول بمرارة: «لن أتفاجأ إذا كانت ملعقتك الفضية مغطاة بالماس».

ثم سألته حانقة كردّ فعل على ضحكته الجافة: «ما المضحك في الأمر؟».

اختفى البريق الساخر من عيني ماثيو، تاركاً تعبيره كئيباً وهو يقول: «لم تكن لدي ملعقة فضية دائماً، روز».

قذفته روز بنظرة ساخطة ومالت بعيداً، أو أنها كانت لتفعل لو لم يمسكها ماثيو من كتفها.

- هل تمانع؟

أجبرت عينيها ألا تنظرا إلى الصورة المزعجة لأصابعه البنية الملتفة حول الجزء الأعلى من ذراعها. طالبته بالرغم من أن جسمها الخائن بكليّته كان يقوم بأفضل ما لديه ليكذبها: «لا أستمتع بلمسة يدك عليّ».

لحسن الحظ، أن ماثيو لن يعرف شيئاً عن الشعور بالدفء والليونة والخفقان الذي راح يتخبّط في معدتها.

- ولدت في شقة مكونة من غرفة واحدة في منطقة في باريس لا

يزورها السياح.

الكلمات التي صدمتها حرفياً وأسكتتها انفجرت من بين شفتي ماثيو بقوة جعلتها لا إرادياً تخطو خطوة إلى الخلف. في جزء من الثانية، رأت روز ومضة من الصدمة في عينيه. بدا تقريباً متفاجئاً مثلها بما تفوّه به من كلمات.

- في الواقع، لا يقوم أحد بزيارة تلك المنطقة إلا إذا لم يجد خياراً آخر.

لم تبلغ ابتسامته القلقة عينيه، فيما أضاف: «لكن هذا لا يمت إلى الموضوع بصلة».

أشارت الكلمات وكذلك تصرّفه إلى نيّته بإقفال الحديث عن هذا الموضوع، مع أنه هو من أثاره.

اشتدّ فكّا ماثيو على خلاف جسده. لم يفهم أي نبض حثّه على أن يتفوه بمعلومات شخصية بهذه الطريقة.

بدا الأمر غريباً. لقد قال أندريوس ما هو أسوأ، ومع ذلك فشل تماماً في أن يحصل على انتباهه. لكن لسبب ما، ذكرها الملعقة الفضية ضايقه ودفعه إلى هذه الاعترافات. منذ متى يعطي ماثيو اهتمامه لما يفكر عنه الآخرون؟ ما الذي يهمّه إذا اعتبرته روز هول ولداً غنياً مدللاً شبَّ ليصبح رجلاً مدللاً فاسداً؟

- ما الذي تتحدث عنه؟

ارتفعت رموشه عن عظام خديه البارزين وقال: «لا شيء، انسي ما قلته».

اعترضت روز: «لا تستطيع أن تقول شيئاً كهذا وتتركه معلقاً».

هزّ ماثيو كتفيه هزة فرنسية الطابع وأجاب: «لِمَ لا؟ أنا لست موضوع هذا الحديث».

من المحتمل أن تكون صحته العقلية هي الموضوع. للمرة الأولى

في حياته شعر ماثيو بالقلق من أنه إذا بدأ بالكلام، فلن يعرف متى يتوقف. أعطى هذه المرأة لمحة عن نفسه كان يجب أن تظل خاصّة.

- أبوك هو أندريوس ديمتريوس، أليس كذلك؟

الرجل الأغنى تقريباً في أوروبا، وماثيو هو وريثه. كيف يمكن أن يكون ما يقوله صحيحاً.

صدر عن شفتي ماثيو المطبقتين بإحكام همهمة، ثم كشف عن أسنانه بابتسامة مفترسة، وأخفض بصره نحوها. أما روز، فلم تكن لديها فكرة عما فعلته لتستحق غيظاً كهذا.

- أتريدين التفاصيل المشوقة؟

ضرب الهواء بقبضته في حركة تنم عن إحباط. وأضاف: «أندريوس هو أبي؛ لدي نتائج الحمض النووي كإثبات. لكن أمي...».

وتابع بنفس الطريقة العازمة: «... لم تكن زوجته، كانت أمي فتاة يافعة أنجبتني بعد تسعة أشهر من ليلة عابرة».

- إذاً، أنتَ...

- ولد غير شرعي، نعم.

احمرار وجنتيها خجلاً جعلت ابتسامة ماثيو الساخرة تظهر على وجهه.

علقت روز: «ألم تكن على اتصال معه... مع أبيك... حين كنت صغيراً؟».

برزت ثنية على جبينها الناعم وأضافت: «لا شك أنه أعطى أمك دعماً مادياً».

- لم أعرف مَن هو أبي إلا بعد وفاة أمي.

- ألم تسأل؟ ألم تكن فضولياً؟

لم يتمكن عقل روز من تقبل فكرة أن طفلاً مثله لم يكن يود معرفة جذوره.

هزّ ماثيو رأسه الداكن الشعر مجيباً بالنفي، وأجاب: «كنا على ما يرام، نحن الاثنان فقط».

- هل كان يعرف؟

- عني؟ من الواضح أنه لم يعرف، انتقلت للعيش معه بعد وفاتها بستة أشهر.

قال ماثيو هذه المعلومة بنبرة جافة غير معبّرة، لكن ما أفصح عنه حتى الآن جعل من الصعب عليه أن يكبت مشاعره. يا الله! ما السر الكامن في تلك المرأة كي تجعله يتفوه بأسرار احتفظ بها طويلاً؟

علقت بحزن: «من المحزن أن تكون أمك لوحدها...».

- لم تكن وحيدة، كنت معها.

- كم كان عمرك حين توفيت؟

- خمسة عشرة عاماً تقريباً.

- وأين كنت خلال الستة أشهر قبل أن تنتقل للعيش معه؟

مرّر ماثيو يداً على فكه وهز رأسه.

- بقيت في الشقة وعملت كعامل بناء لأدفع الإيجار.

لم يتلفّظ بهذه الكلمات لأحد قبلها، ولا حتى لجايمي، صديقه المفضل.

صاحت روز وقد اتسعت عيناها من الصدمة: «لكنك كنت في الخامسة عشرة من عمرك فقط».

- كنت طويلاً بالنسبة إلى عمري.

- ليس هذا ما عنيته، كنت صغيراً... ما كان يجب أن تُترك وحدك هكذا. كان يجب أن تتواجد في المدرسة.

- حين مرضت أمي لم أعد أذهب إلى المدرسة، ثم...

هزّ ماثيو كتفه هزة تنم عن الاستهتار، ثم قال مغيراً الموضوع فجأة: «اسمعي! سواء صدّقت أم لم تصدقي، أنا آسف لأنك خسرت عملك،

www.elromancia.com

لكن ليس لدي مكان شاغر يناسب أهليتك».

- أنا أمينة مكتبة كفوءة، لكنني لم أعمل في الكتب دائماً.

لم تستطع روز أن تزيل صورته من رأسها وهو صبي صغير وحيد مجبر في بادىء الأمر على الاهتمام بأمّه التي تحتضر، ثم على إعالة نفسه بنفسه. آلمها قلبها الرقيق حين فكرت بالأمر.

علّق ماثيو وعيناه تتمهلان فوق ملامح وجهها الرقيقة، فيما غمرته مجدداً حاجة قوية إلى معانقتها: «أعرف ما أنت بارعة فيه».

وتابع: «ويمكنني أن آخذه مجاناً».

أمال رأسه إلى الجهة الأخرى قبل جزء من الثانية فقط من وصول صفعة يدها إلى خدّه. التقط رسغها، وفاجأها كما فاجأ نفسه برفع يدها إلى فمه وتمريرها على شفتيه.

أطلقت روز صرخة قصيرة واندفعت إلى الوراء. أزال ماثيو قبضته وراقبها وهي تضع يدها على صدرها اللاهث.

- آسف، كانت هذه هفوة.

وقد قام بها ليزيل عن وجهها مظهر التعاطف. إن كان هناك من شيء لا يستطيع تحمله، فهو الشفقة.

ارتفع رأس روز، وبدا ماثيو نادماً ندماً خالصاً فيما تابع: «وما قلته ليس صحيحاً، لا شيء يعطى مجاناً في هذا العالم».

دفعت يدها بعيداً، لكن بشرة يدها الحساسة استمرت في وخزها.

- أتقدم لي اعتذاراً وأنت مرغم؟

ذلك كثير على ماثيو ديمتريوس، الذي عاش حياةً لا يلام عليها بمختلف المقاييس.

تابعت روز مع ابتسامة تنم عن نفاق مذهل: «هذا عظيم منك حقاً، لكن لمعلوماتك، لم أفعل شيئاً أندم عليه قط... حسناً! ليس ذلك الشيء الذي تكلمت عنه على أي حال».

توقفت روز عن الكلام وسألته: «هل تسمعني؟».

ارتعشت زاويتا شفتي ماثيو من جرّاء ابتسامة روز المزعجة، فيما هزّ رأسه يميناً ويساراً واعترف: «لا، لأنني اهتديت إلى الحل المناسب».

- لِمَ تنظر إليَّ بهذه الطريقة؟

- فكرت في مركز يناسبك... نعم، كلما أفكر فيه أكثر...

سرحَت عينا ماثيو الضيقتان من رأسها ذي الشعر الأشقر اللامع إلى أخمص قدميها، ثم عادتا إلى رأسها مجدداً. هزّ رأسه إلى الأمام وإلى الخلف ببطء وقال: «نعم، يمكنك فعل هذا».

- فعل ماذا؟ ما الذي تتكلم عنه؟

- أنت تريدين عملاً، وأنا أريد...

توقف ماثيو قليلاً مظهراً ابتسامة أشعرتها بعدم الثقة بسبب التفكير العميق الذي ينتشر في ملامحه النحيلة، ثم أردف: «لدي مكان شاغر».

- مكان شاغر.. لأي عمل؟

طلبَتْ روز عملاً بسبب اندفاعها، ولم تتوقع للحظة أن ينزل ماثيو عند طلبها. لم تكن متأكدة بعد ما إذا كان يعبث معها.

- أريد زوجة.

كانت روز تزيل خصلة من شعرها عن خدّها، لكنها في تلك اللحظة تجمّدت كلياً. كررت بنبرة جافة: «أتريد... خطيبة؟».

قالها ماثيو بالطريقة نفسها التي يقول فيها شخص آخر إنه بحاجة إلى المزيد من البترول أو المعدات الصناعية.

- الوظيفة مؤقتة بالتأكيد.

لجزء من الثانية، سمحت روز لنفسها أن تأخذ عرضه بعين الاعتبار. لكن التفكير بالموضوع بأي طريقة كان يقلقها.

- إذا كنت تريد زوجة أقترح عليك أن تضع إعلاناً في الصحيفة ضمن العمود الذي يعرض الوظائف الشاغرة.

أو أن تضع إعلاناً في أي زاوية على الطريق، وسوف تتجمهر النساء حولك؛ فكرت روز بذلك وهي تشاهد شفتيه تلتويان في ابتسامة خطيرة، لا يقل خطرها عن ذلك البريق الذي ظهر في عينيه الرائعتين ذات اللون المعدني. فيما تباطأت نظراتها على قسمات وجهه الوسيم، انفجرت الحرارة في أحشائها.

لم تستطع روز إخفاء موجة اللون التي اجتاحت بشرتها، بل جُلّ ما استطاعت فعله أن تأمل أن يُسند ماثيو تغيّر لونها إلى الغضب.

- دعني أشرح الأمر.

لم ترغب روز بسماع شروحاته، كل ما أرادته هو تهدئة ذلك الاضطراب في معدتها الذي سبب لها التوتر وسبب الجفاف لفمها.

نصحته بإيجاز: «لا تكلّف نفسك عناء الكلام، فأنا لا أستمتع بالمزحة».

- هذه ليست مزحة. ثمة فتاة يرغب أبي في تزويجي إيّاها.

نظرت إلى ماثيو بغضب شديد. لم يكن يحاول حتى أن يجعل الأمر مقبولاً.

قالت وهي تحمل حقيبتها: «لا...».

وتابعت: «لا تقل كلمة أخرى. أنا راحلة».

٦ - مكالمة هاتفية وقرار

همهمت روز وهي تقفل باب سيارة الأجرة بقوة: «المحطة، من فضلك».

بدت نصف الساعة الماضية أمراً يفوق التصور. لا تزال روز غير متأكدة كلياً ما إذا كان ماثيو جدياً في عرضه ذاك، إذ إن أحداً لا يطلب من الآخر التظاهر بالزواج.

أبعدت نظرتها العابسة عن واجهة البيت الحجرية الرمادية الكالحة، وتناولت هاتفها النقال من داخل حقيبتها.

- هل هذا وقت مناسب للحديث؟

- روز..؟ طبعاً! كنت أفكر بك لتوي، كيف تسير الأمور في سكوتلاندا الجميلة؟

لم تضيع روز وقتاً في إخفاء ما حصل. وقالت: «فظيعة! أنا عائدة إلى المنزل. بما أنك ونك باقيان في نيويورك حتى شهر آذار، هل يمكنني أن أبقى معكما لبضعة أسابيع؟».

عمَّ السكون برهة، ثم طال أكثر.

- توقعت أن تقولي: «قلت لك هذا» تتبعها فوراً «لا أستطيع الانتظار لرؤيتك».

- بالطبع لا أستطيع الانتظار لرؤيتك.

- لكن..؟

- الأمر هو أنني كنت سأتصل بك، لكن نك قال إنه يجب أن أرحل

www.elromancia.com

وحدي، والأمر هو. . . زوجة ستين تطلّقه.

ضيّقت عينيها وهي تقوم بمجهود لتتخيل وجهه، هل على الإنسان أن يقوم بمجهود لتذكر وجه الإنسان الذي قرر أنه يحبّه من طرف واحد؟

حتى وهي تتخيّل صورة ذهنية تتوافق واسم ستين، بقيت عيناه تتأرجحان من الأزرق إلى الرمادي المائل إلى الفضي وبقي فم آخر أنيق في وجه وسيم يفرض نفسه عليها.

- هل ما زلتِ على الخط، روز؟

هزّت روز رأسها قليلاً وأجبرت نفسها على الابتسام بالرغم من أنه لم يكن هناك من يراها، وأجابت: «نعم، إذاً ستين على أبواب الطلاق؟».

هذا الأمر يجعله متوفراً، كما ينبغي أن يجعلها شديدة الفرح. إلا أنها لم تكن كذلك، وهذا يعني أن ريبيكا كانت محقّة طوال الوقت، مهما كانت المشاعر التي تكنها روز لستين لاتيمر فهي ليست حبّاً.

- زوجة ستين تطلقه لأنها اكتشفت أنه على علاقة مع مربية الأطفال.

هبط فك روز، وسألت متعجبة: «مربية الأطفال؟».

- الأمر هو، روز. . . حسناً! الأمر هو أن تلك العلاقة بدأت منذ سنتين، ما كنت لأخبرك، لكن بما أنك عائدة إلى لندن، فسوف تكتشفين الأمر بنفسك.

أغمضت روز عينيها: «لقد حذرتماني، ولم أسمع. ألم تفعلا؟».

بدأت تستعيد في ذاكرتها إحدى المحادثات التي أجرتها مع نك وريبيكا قبل أن تغادر.

كانت ريبيكا ونك يريان حقيقة ستين طوال الوقت. قالت: «حسناً! من السهل فهم سبب إبقاء يديه بعيدتين عني».

إذ كانتا متشبثتين بمربية الأطفال تلك. أغمضت روز عينيها وأحنت

رأسها إلى الأمام، ثم أردفت: «ظننت أن حبّه كان خالصاً. قولي لي ريبيكا، هل من جنون يفوق هذا الجنون في العائلة؟ يا إلهي، حين أفكر أنه كان يسخر مني. . .».

اشتدت عضلات وجه روز وضاقت عيناها، وهي تبتلع الشعور بالذل الذي يحترق في حنجرتها.

قالت ريبيكا من الجهة الأخرى للخط: «أستطيع أن أقتله».

أطلقت روز سراح ضحكة مخنوقة، ورفعت رأسها فيما ضغطت الهاتف إلى أذنها، ودفعت بشعرها بعيداً عن وجهها بمرفقها. قالت ملقية برأسها على السنادة الخلفية: «ليس إذا وصلت إليه أوّلاً».

- لا تفعلي أي شيء مجنون. سأستقل الطائرة التالية إلى هناك، ألا تصل الطائرات إلى هناك؟ سأسأل نك. نك. . .

استطاعت روز أن تسمع صوت حديث مكتوم، فيما أردفت ريبيكا: «يقول نك. . .».

قاطعتها روز قائلة: «اهدئي! لا حاجة لأن تسافري إلى هنا من نيويورك. أنا بخير».

- كاذبة! لكن إذا كان ما ستسمعينه يشعرك بالتحسن، فقد صُرف من عمله. . . حتى قبل أن يُعرف عن أمر علاقته.

ارتكب خطأً أساسياً ومكلفاً، ولم تكن روز موجودة لتغطي هذا الخطأ.

ردّت روز بزمجرة، وهي تفكر بالوقت الإضافي غير المدفوع الذي صرفته لتتأكد من أنه يبدو ماهراً في عمله: «لطالما غطيت أخطاءه، أليس كذلك؟».

وتابعت: «لا بد أنك تفكرين أنني حمقاء».

- مَن تعتقدينني لألوم، روز، وكأنه ليس لي سجل حافل حين يتعلق الأمر بالرجال.

هي لم تحب ستين. في الواقع، ستين الذي أحبته لم يتواجد قط إلا في مخيلتها الخصبة، لكنها لا تستطيع أن تقول هذا لريبيكا، إذ سيذهب مجهودها عبثاً. كلامها لن ينفع البتة، والشفقة والتفهم هما آخر شيئين تحتاج إليهما الآن، فهما سيذكرانها بالحماقة التي تصرّفت بها.

لكن إلام تحتاج فعلاً؟ هذا السؤال الأهم.

- ما الذي ستفعلينه الآن؟

- لا أستطيع البقاء هنا، فقد صرفت من عملي.

بالكاد لاحظت روز شهقة أختها من جرّاء صدمتها. فقد أخذت تفكر بخياراتها التي بدت محدودة جداً، فهي أجّرت شقتها كما أنها لا ترغب بأن تعود أختها من الولايات المتحدة بسببها، بالإضافة إلى عدم رغبتها بالتعرض لأسئلة أهلها الدقيقة. من جهة أخرى هي لا تستطيع الاعتماد على مدّخراتها القليلة.

هل كانت هذه اللحظة المناسبة لأن تتجاهل المخاطر؟ حسناً! إن وعيها وقيامها بالفعل الصحيح لم يجدياها نفعاً حتى الآن.

ثمة مخرج لاح لها في الأفق القريب، هو ذاك الذي قدّمهُ ماثيو إليها، لكنه مخرج مجنون جداً.

تنشقت نفساً حاسماً وقالت: «سأقوم بالأمر».

- تبدين غريبة، ليس لدي فكرة عمّا ستقومين به. روز، ماذا...؟

هتاف روز غير المتوقع جعل أختها التوأم تبعد الهاتف عن أذنها بإجفال. وتابعت: «أنتِ محقة بيكي. أنا جبانة، لكنني لن أبقى كذلك بعد اليوم».

عارضت أختها التوأم: «لم أقل شيئاً».

- حين تفكرين أكثر بالأمر، يمكنك أن تقومي بعلاقة مع شخص لا تأبهين لأمره البتّة لأنه لا يستطيع أن يجرحك.

زمجرت ريبيكا من الطرف الآخر للخط: «آه، يا إلهي!».

ثم نصحتها بحذر: «اسمعي، روزي، ربما ليس هذا الوقت الأفضل لاتخاذ القرارات الأفضل... أنت مجروحة المشاعر و...».

- أنا لست مجروحة المشاعر.

- بالطبع لستِ كذلك؟

أطبقت روز أسنانها في تكشيرة محبطة، ما من شيءٍ ستقوله يمكن أن يقنع ريبيكا.

- صحيح... أنا لست محطّمة القلب. أنا غاضبة فحسب، وأشعر أنني حمقاء كلياً.

- اسمعي، لا تدّعي أمامي أنك سعيدة، فقد مررت بهذا قبلك، إن أشياء كهذه تأخذ وقتاً قبل أن تصبح طي النسيان.

- ليس بالنسبة لي. لقد التقيت شخصاً آخر.

في اللحظة التي خرجت الكلمات من فم روز، ندمت لأنها أفصحت عن وجود عاشق يحفظ لها ماء الوجه. حتى لو أتيحت لها الفرصة لذلك فلن تصدّقها ريبيكا على أي حال.

- لم تذكريه سابقاً...؟

- لا يزال الوقت مبكراً، ولم أشأ المخاطرة.

ارتجلت روز هذه الكلمات عن ذكاء، مدعية أنها لم تسمع نبرة الشك في صوت أختها.

- إذاً، صفيه لي..

- أصفه...؟

- نعم... أهو طويل، قصير القامة، أسمر، أبيض البشرة؟ متزوج أم أعزب؟

أغمضت روز عينيها واتكأت على مقعدها، لوت شفتيها بابتسامة خافتة. ثم قالت: «طويل القامة وأسمر جداً مع عينين رماديتين ودائرة داكنة حول القزحيتين ورموش طويلة جداً، أما فمه... حسناً! لديه

ابتسامة رائعة... حين... يبتسم... أي...».

- واو! هل لديه أخ؟

السؤال المضحك جعل روز تجفل وتصحو من تأملاتها.

- اسمعي ريبيكا، علي القيام بشيء ما، ولا تقلقي، ليس بشيء جنوني... حسناً! إنه كذلك، لكنه جنون جيّد كما أظن. سأعاود الاتصال بك.

أعادت روز الهاتف إلى حقيبتها مجدداً، وانحنت إلى الأمام كي تكلم السائق الذي كان يسترق السمع من دون خجل ثم قالت: «هل تستطيع أن تستدير وتعيدني إلى المنزل الريفي، من فضلك؟».

٧ ـ مفاجآت غير متوقعة

- إذاً، هل تريدينني أن أنتظرك؟

تناولت روز ما تبقى من نقود من محفظتها وسلمتها للسائق مجيبة: «لا، شكراً».

كانت تقوم بشيء لا تستطيع الرجوع بعده إلى وضعها السابق، ولم يكن من مخرج يسمح لها بأن تتراجع عن قرارها. وقفت وحقيبتها بجانب قدميها، وراقبت سيارة الأجرة وهي تختفي عن الأنظار. حين توارت السيارة، بقيت مكانها محدّقة باتجاهها.

بعد لحظات استدارت، واضطرب قلبها حين نظرت إلى ماثيو... إنه يجسد الجاذبية التي تجنبتّها طوال حياتها.

- لقد عُدت.

- هل من مشكلة؟

- ليس تماماً.

إلا إذا كنت تعتبر أن إصابتي بالجنون هي المشكلة. كرّرت: «لقد عُدت».

- أيعني هذا أنك ستغيرين معاملتك الفظة لي. هل تجدني جذابة؟

بدا أن السؤال أربكه على خلاف العديد من الأسئلة الأخرى كما لاحظت روز.

سألها ماثيو: «هل هذا نوع من الاختبار المتعدد الخيارات، ربما؟».

www.elromancia.com

- لا يهم. فقط فكرت...

تمهلت قليلاً ثم تابعت كاشفة عما في داخلها: «هل كنت جاداً؟».

اعترف بوقار: «إلى أقصى حد».

وتابع: «لكن قلة من الناس يقدرون روحي المرحة».

رمته روز بنظرة غاضبة. وقالت: «بالنسبة إلى الوظيفة».

تجمدت ملامحه، وسألها: «هل ستقبلين بها؟».

- أفكر بالأمر.

راقب ماثيو شعر روز يتطاير في الهواء، وقاوم كي يسيطر على دافع مسيطر ومفاجيء ليمرّر أصابعه في خصل شعرها الذهبية. فيستطيع عندها أن يرفع رأسها إليه و... أخذ نفساً عميقاً.

- أتفكرين فحسب؟ لِمَ غيّرت موقفك فجأة؟

هزّت روز كتفيها وأجابت: «أفترض أنها تدرّ مالاً وفيراً».

ضحك ماثيو ضحكة مفترسة كاشفاً عن أسنانه البيضاء، وقال: «هل تتوقعين أن أصدّق أن دوافعك مبنية على الطمع المادي فقط؟».

- وما المضحك في هذا؟

- ألتقي كل يوم أشخاصاً مستعدين ليبيعوا أنفسهم في سبيل المال. أشمّ رائحة الجشع على بُعد أميال...

لم يكن ماثيو مدركاً إلاّ رائحة الشامبو الخفيفة التي تستعملها روز. تجعّد جبينه وهزّ رأسه إيجاباً قائلاً: «لا، لا يتعلق الأمر بالمال».

- لتأثرت لو أنك لم تتهمني بمحاولة خداعك لسرقة مالك منذ عشرين دقيقة.

أقرّ ماثيو فيما مرّر يد على فكّه: «انتقلت إلى الاستنتاج الخاطىء».

- يبدو ان الاستنتاج الخاطىء هو أسلوبك في الحياة. اسمع، هل تريدني أن أفعل أم لا؟

لمع شيء ما في عينيه، لم تستطع روز تحديد ماهيّته. توقف ماثيو

برهة ثم أجاب: «أريد».

ابتلعت روز ريقها، وحذّرته: «سأضع شروطاً».

ومض بريق اللهو في عيني ماثيو، لكن تعبيره بدا كئيباً فيما هز رأسه إلى الأمام والخلف، وتساءل مَنْ أوما الذي وضع البريق الطائش في عينيها الذهبيتين. أجاب: «حسناً!».

ردّت روز: «لا تستطيع أن تجيبني هكذا وأنت لا تعرفها».

- حين يرغب رجل في شيء بكل جوارحه، يكون مستعداً تماماً ليقبل القساوة والليونة معاً.

وهي لينة ورقيقة. رقيقة جداً، وهو يتوق إليها. نظر ماثيو إلى ساعة يده وأجرى حسابات سريعة. وقال: «عليّ أن أكون في أدنبرغ هذا المساء، وأنت عليك أن تذهبي إلى لندن. سأحجز لك على طائرة و...».

- اليوم؟ لكنني فكرت...

ذكرت نفسها: لا، روز، لم تفكري وتلك هي الفكرة الأهم في الموضوع، أنتِ متهورة.

قال ماثيو، ممسكاً مرفقها ما أجبرها على التقدم نحو المدخل: «ومن ثم إلى نيكسياس في غضون أسبوعين، سأحضر الخاتمين ودليل الرحلة».

عارضت روز فيما راح يدفعها بقوة إلى الأمام: «ماذا؟ لكن؟».

وأضافت: «ما هي نيكسياس؟».

- هي المكان الذي سأتباهى فيه بعروسي الخجولة أمام عائلتي.

- لكن أسبوعان... ظننت...

دس ماثيو حقيبتها الثقيلة تحت ذراعه، فيما أمسك الباب الكبير الذي تأرجح إلى الداخل بصرير قوي وقال وهو ينظر إليها متسائلاً عن التعبير الذي قد يراه في عينيها حين يلامس بشرتها برقة ويعانقها:

«تتمتعين بعينين معبّرتين جداً».

قالت روز، متقدمة خطوات نحو الممر المرصوف: «يبدو كل هذا سريعاً جداً».

وأردفت: «لم أتوقع أن تجري الأمور بتلك السرعة».

- ماذا يمكنني القول؟ الرجل العاشق لا يرضى بأي تأخير.

همهمت روز وهي تشعر بفورة الدم في خديها: «حسناً! حاول ألا تقول هذا مجدداً».

ضحك ماثيو ثم قال: «على الأقل، لن يكون لك متّسع من الوقت كي تعيدي التفكير بالأمر».

وكان محقاً بالفعل.

مرّت الساعات التالية بشكل غير واضح بدءاً من الرحلة الخاصة إلى لندن، حيث نزلت روز في جناح في فندق فخم وصولاً إلى إجراءات الزفاف التي لم تستغرق وقتاً طويلاً، حيث اختفى ماثيو بعدها ليعود إلى أدنبرغ ويتركها كي تتناول العشاء.

في الصباح التالي، بدت ذكريات أحداث النهار السابق كالحلم.

إلا أن إحساسها بالحلم اختفى حين حمل لها موظف الفندق علبة حمراء صغيرة مع ظرف كتب عليه اسمها بخط يد مخربش لكنه واضح. فتحت الظرف أولاً، فوجدت فيه كتابة موجزة ومباشرة.

- كوني جاهزة للعشاء عند الساعة التاسعة والنصف، ضعي هذا!.

وضع ماثيو توقيعه في الأسفل. بدا ما كتبه رسمياً مثل الشيك، ولم يشكل هذا لها مشكلة، إذ إنها لم تتوقع منه أن يرسل القبلات، لكن اسمه كان ليبدو أجمل من خربشة توقيعه.

كانت لا تزال تعبس بغير رضىً حين فتحت العلبة، وأرسلت شهقة تركت رئتيها في لهثة مرتعشة.

على الحرير الأحمر رَقَدَ خاتمٌ، هو ليس مجرد خاتم عادي، إذ

تتوسطه قطعة زمرد مربّعة الشكل محاطة بالماس وقد بدت ساطعة ورائعة الجمال.

شعرت برجفة صغيرة في أصابعها وهي تضع الخاتم الذي ناسب مقاس إصبعها بشكل مثالي. بدت الدموع التي ملأت عينيها سخيفة، وكأنها تخدع نفسها بالتمني لو أن الأمر حقيقي.

المرأة التي ستصبح زوجة ماثيو ديمتريوس ستتركز عيون العالم على كل خطوة تخطوها، ولن تفاجأ روز إذا واجهت محاولات لالتقاط صور لها تباع بآلاف الدولارات.

لقد أمضت حياتها على نظام غذائي عادي، وانتابها خدر في وجهها وهي تراقب النساء اليافعات اللواتي يجوعن أنفسهن بغية ارتداء تصاميم رائعة، ولم يبد لها هذا أمراً مناسباً لشخصيتها.

اتصلت روز بريبيكا، إلا أنها لم تصارحها كلياً خشية أن تحجز شقيقتها تذكرة على الطائرة التالية القادمة إليها. أما والداها، اللذان يتمتعان بشهر عسل آخر في سفينة خاصة بالعطل خارجاً، فيمكنها أن تتعامل معهما لاحقاً.

* * *

أظهرت روز حماستها قائلة: «هي فرصة مدهشة».

- لكن ما الذي ستفعلينه على الجزيرة اليونانية؟ ما اسم تلك الجزيرة؟

بدت ريبيكا مرتابة جداً، فقد قاطعت شقيقتها عدة مرات خلال حديثها المشتت، ووصفها الغامض المتعمد لفرصتها الجديدة الشيّقة.

- لِمن قلت إنك ستعملين بالتحديد؟

لم تقل روز لمن ستعمل، ولم يكن هذا بالصدفة. كشرت على الهاتف وقالت: «آه! ربما لم تسمعي به... اسم العائلة هو ديمتريوس».

- ديمتريوس! أنتِ تعملين لعائلة ديمتريوس؟

- هو اسم شائع على الأرجح في اليونان؟

- هل يملكون الجزيرة التي ستذهبين إليها؟

أقرت روز بعدم ارتياح: «أظن أنهم يملكونها».

- ولأي فرد من أفراد العائلة تعملين، روز؟

قالت في عجلة: «الابن على ما أعتقد، علي الذهاب حقاً، ريبيكا».

وأضافت بذكاء: «لكنني سأظل على اتصال».

غمرها الرعب والصدمة فيما قالت ريبيكا بكآبة: «يا إلهي! روز، أنت تعملين لصالح ماثيو ديمتريوس، الذي كان يُعرف باسم ماثيو غوثيير؟».

أقرّت روز بعدم ارتياح: «أظن أنَّ ذلك كان اسمه».

سُمعت عبر الهاتف تنهيدة ارتياح. وأضافت ريبيكا: «إذاً أنت لم تلتقيه بعد... لو التقيته لما نسيت اسمه أو أي شيء آخر عنه».

همهمت ريبيكا ذلك التعليق الساخر، وأردفت: «الأمر أنه... روز، ثمة شيء علي أن أقوله لكِ...».

كانت روز في حاجة ماسّة لتجنب أختها الخجل، فقاطعتها قائلة: «في الواقع، التقيت به، لكنني حقاً لا أظن أنني أثرت انتباهه. أشك أن أراه كثيراً حين نصل إلى هناك».

- أحقاً؟

بدا الارتياح في صوت ريبيكا.

أقفلت روز الخط راغبة بالخلود إلى النوم في وقت أبكر من المعتاد، وكانت ترجع الهاتف إلى حقيبتها حين سمعت ضربة قوية على بابها.

- هل أنتِ مستعدة؟

استدارت ورأت ماثيو واقفاً في الممر. كان يرتدي سروال جينز فاتح اللون، وقميصاً سوداء وسترة جلدية بالية. اندفعت الأحاسيس الهائجة في جسدها بأكمله بقوة، ما تركها للحظات غير قادرة على التنفس ولا الكلام.

تعمّق الفراغ بين حاجبيه الداكنين المحددين وهو يراقب وجهها الشاحب، ثم سألها: «هل أنت مريضة؟».

أخذت روز نفساً عميقاً. آه! ليس لديك فكرة كم أنا مريضة! لكن جسدياً فحسب، قالت ذلك لنفسها مصممة على أن تبقى موضوعية في ما يتعلق بارتجاف ركبتيها وتسارع نبضها اللذين تعاني منهما في وجوده.

تلوّن خدّاها بسبب الاحساس بالذنب الذي انتابها، فأشاحت ببصرها عنه.

زحفت عينا ماثيو اللتان احتجبتا عن روز خلف رموشه الكثيفة فوق جسدها في مسح شامل، ثم نبذ على الفور فكرة أن يشرح لها أنها من نوع النساء اللواتي يبدون جميلات مهما كان ما يرتدينه.

وكأنها لا تعرف مسبقاً ما سيقوله، لا بد أنها سمعت ذلك من رجال كثر قبله... إن تفكيره بأن هؤلاء الرجال تمتعوا قبله بإقامة علاقة حميمة معها جعله يعبس بغير رضىً.

- إنها مناسبة. فكرتُ أن نتناول العشاء في مكان غير رسمي في الليلة الأولى، أما بقية أيام الأسبوع، فكّرت.. في الواقع... أنظري، حضّرت لك نسخة عن دليل الرحلة؟.

كرّرت فيما راحت تنظر إلى الورقة التي سلمها ماثيو لها وهي تخطو نحو الممر من بعده: «دليل الرحلة».

- لسوء الحظ، لدي مفكرة مكتظة بالمواعيد للأيام العشرة القادمة، لكن يجب أن نشاهد العرض الأول لمسرحية، بالإضافة إلى تناول

الغداء لثلاثة أيام، وهناك بضع وجبات عشاء.

سألته فيما أقفل باب المصعد وراءهما: «لكن ألن يرانا الناس؟».

ثم أخذت نفساً عميقاً، يا إلهي! إن الأماكن المغلقة تبدو أكثر انغلاقاً!

نظر ماثيو إلى روز من الأعلى مستفيداً من طول قامته، وهزّ كتفيه مجيباً: «الفكرة هي أن يرانا الناس. هذا يقدم فرصة لالتقاط الصور التي ستظهرنا زوجين رائعين قبل أن تقابلي أفراد عائلتي».

- آه!

- إذاً ما الذي ظننته؟ كي تعرفيني على حقيقتي؟

تلوّن خدّاها بلون الغضب، وردّت: «لكن إذا كنت سطحياً كما تبدو، فيجب ألا يستغرق هذا الأمر وقتاً طويلاً».

- حسناً! إذا بذلت جهداً ستجدين على ظهر الصفحة وقائع وثيقة الصلة بالموضوع.

علقت روز بسرعة: «أنت تفكر بكل شيء».

بدا من الجيد أن تبعد روز فكرة الإغواء عن ذهنها، لأن ماثيو بدا مهتماً بهذه الوظيفة بطريقة رسمية جدّاً وتجارية الأهداف من دون إعطاء أي فرصة لأي فعل أكثر عفوية. أشارت وهي تضرب ضربة خفيفة بسبابتها على طرف الورقة التي سمّاها ماثيو دليل الرحلة: «لكنك في الواقع لا تفعل، إذ ليس لديَّ ما أرتديه لهذا النوع من الأماكن».

- حجرة الملابس سوف ترسل إليك في الصباح.

ارتفع ذقن روز واستفسرت: «حجرة الملابس؟».

بدا كأن ماثيو لم يلاحظ النبرة الخطرة في صوتها.

- إن كان هناك شيء آخر تحتاجينه، فلا تترددي في طلبه...

في الخارج، أخذت روز نفساً عميقاً ليساندها، وعدّت إلى العشرة. آه! سوف تبقى غاضبة حتى لو وصلت إلى العشرة آلاف.

قالت: «اسمع! لأنني سأقول هذا لمرة واحدة فقط، لن أقبل الثياب منك. لن آخذ أي شيء منك».

أرجع ماثيو رأسه بقوة إلى الخلف وضحك، ثم تشدّق قائلاً: «لِمَ لا، أيتها الحلوة القديمة الطراز؟ استرخي، يا صغيرتي. هذه الثياب ليست هدية، إنها ثياب العمل. لا تفهميني بطريقة خاطئة. أحبّ مظهر أمينة المكتبة المثير، لا يملك الجميع مثل مخيلتي الواسعة».

ثم أضاف موضحاً: «سيتوقعون منك أن تظهري على شكل معين كونك زوجتي العتيدة. حين نكون وحدنا، يمكنك أن ترتدي ما يحلو لك... أو لا شيء على الإطلاق... بالرغم من أننا سنحظى بالقليل من الوقت لنا وحدنا قبل أن نغادر إلى نيكسياس».

تمكنت روز من سماع ضحكته فيما صعدت إلى السيارة التي تنتظرهما، أطبقت أسنانها ولم تتوقف عن فعل هذا طوال الأمسية إلى أن تمنى لها ماثيو ليلة سعيدة على باب جناحها.

قال ماثيو: «لا، لن أدخل».

تعمقت ابتسامته الساخرة في وجه تعبيرها، وأضاف: «أريد أن يدرك أبي أنك لست امرأة عادية للعلاقات العابرة، بل المرأة التي أريدها أن تكون زوجتي».

- ألا تنوي إقامة علاقة حميمة مع المرأة التي تزوجتها؟

- بعد فترة تودّد ملائمة. أنوي أن أستمتع بالأمر مطولاً.

توهج وجه روز خجلاً. وقبل أن تدفع الباب بقوة في وجهه الضاحك زمجرت قائلة: «ليس معي... لن تفعل».

اكتشفت روز أنَّ ماثيو لم يكن يمزح، بالكاد تمكنت من رؤيته. وفي كل المناسبات، كانت أعين الصحافة مسلطة كلياً عليهما، ولم يكن الأمر مريحاً تماماً.

ذات صباح جاء موعد رحلتهما إلى نيكسياس وكانت تلك المناسبة

الوحيدة التي رأت فيها أحد وجوه الرجل الحقيقي. أم أن ذلك كان تمنياً بالنسبة لها؟

كان ماثيو وروز يصعدان إلى السيارة بعد تناولهما وجبتهما، والمصور الذي يلاحقهما يلتقط الصور فرحاً حين ظهر كلب تائه فجأة. حاول أحد المصورين أن يبعد هذا المخلوق الأجرب عن طريقه، فكان هذا على الأرجح آخر شيء عرفه قبل أن يسحبه ماثيو بعيداً ويلقيه أرضاً، وقد غابت ابتسامته، وهو يقول شيئاً ما جعل اللون يختفي من وجه الرجل الآخر.

أعاد ماثيو اهتمامه إلى روز وابتسم بشراسة، ثم قال ببساطة: «أكره الرجال الذين يبعدون عنهم كل ما هو ضعيف وغير قادر على المقاومة».

لو اقترح ماثيو تلك الليلة أن يدخل إلى جناحها حين رجعا إلى الفندق لما مانعت، لكنه لم يفعل.

وصلا إلى المطار في الساعة العاشرة صباحاً تقريباً. ارتفع حاجب ماثيو فيما ألقى نظرة شاملة على وجه روز بعينيه اللامعتين قبل أن يمسك يدها اليسرى ويعلّق: «لم تضعي خاتمك».

- ليس خاتمي... بل الخاتم. لو أنه خاتمي، لاحتفظت به حتى بعد انتهاء العقد. لم أضعه خلال الرحلة لأنه ثمين... ماذا لو أضعته؟

قال ماثيو، مرشداً إياها إلى المبنى الأخير: «ستمضين بقية حياتك وأنت تردّين لي الثمن».

هرولت بكعبيها اللذين يبلغان أربعة إنشات كي تستطيع اللحاق به، وقالت: «أنا أتكلم بجدية ماثيو. أولئك الذين يتجولون بحلي كهذه يستعينون بحرّاس».

- وما الذي يجعلك تظنين أنني لست جدياً؟

التقت نظرات روز نظرته اللامعة فاحمرّت وجنتاها، وتوتّرت

معدتها. تذمّرت بغضب: «ألا تتفوّه مطلقاً بجواب مباشر عن السؤال؟».

- استريحي، فهي مجرد حلي.

- أتعني أنها ليست حقيقية.

لم تعرف روز إن كان عليها أن تشعر بالارتياح أم بخيبة الأمل.

- يستطيع أبي أن يكتشف المزيّف عن بعد عشرين قدماً.

- يبدو أبوك مخيفاً.

إذا أخذنا ابنه بعين الاعتبار، تبدو هذه نتيجة معروفة مسبقاً.

قال ماثيو: «هذا يمكنه أن يساعدك».

نظرت روز بعبوس إلى الملف الذي وضعه في يدها، وسألته: «ما هذا؟ أهو دليل آخر؟».

- بعض المعلومات عن أبي... ما يحبّه وما يكرهه، معلومات قد تجدينها مفيدة.

هزّت روز رأسها إلى اليمين وإلى اليسار، وقالت بطريقة فظة: «هل أنت متأكد من أنك لا تريدني أن أتعلم اللغة اليونانية أثناء الرحلة أيضاً؟ لو كنت زوجتك، لما كنت مهتمة بأن أرضي أباك أو أؤثر فيه».

- ستهتمين بي فحسب.

ادّعت روز أنها لم تسمع تعليقه الماكر. وردّت: «الأمر الأكثر إفادة على الأرجح هو أن أعرف شيئاً عنك، ولا أعني فقط كيف تحب أن تأكل وجبتك ومدى جمال ابتسامتك أمام آلات التصوير، فكل هذا... سطحي جداً».

قال ماثيو، وهو يبدو غير مهتم: «أهذا ما يبدو سطحياً أم أنا؟».

وأردف: «أنا آسف إذا كنت تشعرين بأنني أتجاهلك، لكن يمكنك تمضية بقية النهار وأنت تكتشفين أعماقي التي لم يُسبر غورها بعد».

قلبت روز عينيها فيما قلّب قلبها مرتين، ثم قالت بصوت أجشّ:

«بالكاد أستطيع الانتظار».

ما الذي ورّطت نفسها به؟

قبل ماثيو الملف من دون تعليق حين أعادته إليه روز باشمئزاز بالرغم من أنه بدا جدياً حين قال: «لديك وجهة نظر. ربما من الأفضل أن تكوني على سجيّتك قدر المستطاع».

- حسناً! أنا...

توقفت روز كليّاً حين رأت الطائرة النفّاثة الخاصّة التي كانت بانتظارهما، وهمهمت: «آه، يا إلهي!».

وأضافت: «هذه ليست أنا. لن أنجح في القيام بذلك. لست أصلح كعروس لبليونير».

ضحك ماثيو من خوفها، وهز رأسه محيياً الرجل الذي حيّاهما. ثم قال لها: «لا تتخلي عن شيء قبل أن تجربيه، صغيرتي».

رمته روز بنظرة ساخطة، وقالت: «كما تعلم، بعض الأشياء لا تلائمك، فلِمَ عليك أن تجربها؟».

- آه! أعتقد أننا تلائم بعضنا تماماً.

كالمعتاد، صمتت روز وقد احمرت وجنتاها بفعل تعليقه المثير. وهو صمت لم يكن ماثيو مستعجلاً لمقاطعته.

بعد خمس ساعات، استدارت المروحية الخاصة حول الجزيرة، ولم يكونا قد تبادلا أكثر من اثنتي عشرة كلمة. فقد انشغل ماثيو بكومبيوتره النقّال طوال الرحلة، غافلاً كلياً عن حنق روز.

في الواقع، توقعت أن يأخذ بيدها، لكنها لم تتوقع قط أن يتجاهلها. في كل مرّة حاولت أن تبدأ حديثاً كان يرد بأجوبة أحادية المقاطع. بنظرها، أي شخص يملك ولو مقداراً قليلاً من الاحساس سوف يفهم أنها متوترة وتحتاج إلى القليل من الاطمئنان.

رفع ماثيو نظره إليها وكأنه تذكر وجودها أخيراً: «إذاً، ها نحن

هنا».

نظرت روز إلى الجهة التي أشار إليها ماثيو، فرأت الڤيلا الفخمة الرابضة بمحاذاة الرصيف الحجري الممتد بموازاة البحر، والمحاطة بمساحات واسعة من الأراضي المزروعة بعناية.

الطائرة الخاصة التي أوصلتهما إلى أثينا، والانتقال بالمروحية، والآن الجزيرة الخاصة، هذا كله جعل روز تدرك حقاً مدى الثروة الطائلة التي تملكها عائلة ديمتريوس.

غضنت جبينها، فيما أخذت شفتها السفلى بين أسنانها، وبدأت تقضمها بتوتر. فهذا العالم الذي يعيش فيه ماثيو يختلف تماماً عن العالم الذي عاشت هي فيه.

كافحت لتحافظ على هدوئها فيما أخذ الرعب ينهش رباطة جأشها رويداً رويداً.

رمقت رفيقها بنظرة جانبية، فلاحظت أنه ترك الكومبيوتر وراح ينظر من النافذة كذلك. افترضت روز أن أمر امتلاكه لهذه الثروة كان يجب أن يؤخذ بالاعتبار. لم تفكر بالأمر مسبقاً لأن ماثيو، خلافاً للعديد من الناس الذين يتباهون بغناهم وموقعهم، لم يجهد نفسه في الإفصاح عن ثروته المذهلة.

لا، ماثيو ليس بحاجة إلى تذكير الناس بموقعه لأنه من هؤلاء الأشخاص النادرين الذين يتمتعون بالثقة المتغلغلة في العظام، تلك الثقة التي كان ليتمتع بها حتى لو لم يكن يملك فلساً واحداً.

- أستطيع أن أفهم الآن لِمَا لا تقول لأبيك أن يهتم بشؤونه الخاصّة... الصدق هو السياسة الأفضل من حيث المبدأ، لكن أي رجل ذي عقل راجح لن يخاطر بفقدان كل هذا.

قال ماثيو، بصوت عالٍ يكفي لتسمعه روز فوق كل الضجة المحيطة بهما: «لا مجال لأن أخسر الجزيرة، فأنا أملكها».

استدارت روز، وأمالت رأسها إلى الخلف لتنظر إلى وجهه. كررت وقد جردت الصدمة صوتها من أي تعبير: «أتملك الجزيرة...».

انزلقت عينا روز إلى المشهد البادي بين صفي الأشجار من تحتها وابتلعت ريقها من الدهشة، ثم أضافت بوهن: «كلها؟».

هزّ ماثيو رأسه إيجاباً وشرح: «لم تكن قط مِلك أندريوس، بل ملك عائلة زوجة أبي. نوت من الأصل أن نتشاركها أنا وألكس، لكنه...».

توقف عن الكلام مبتلعاً ريقه، ثم تابع: «انتقلت الملكية إلي فوراً بعد وفاتها».

تصرف أندريوس بشراسة، فقد اعتبر هذا الإرث إهانة له. بدأ رأس روز يدور، وسألته: «ألم يخطر ببالك أن تذكر هذا لي من قبل؟».

رفع ماثيو حاجبيه وبدا متفاجئاً قليلاً بالحماسة التي ظهرت في سؤالها، وسألها: «لم عليَّ إخبارك، لا علاقة لهذا الأمر بموضوعنا».

- أستغرب ذلك، مع العلم أنك ظننت أنه يجدر بي أن أعرف لون أبيك المفضل لكنك لم تفكر أنه من المفيد أن تذكر أنك تملك جزيرة كاملة أشبه بالجنّة.

أشارت روز بيديها عالياً بسخط شديد ونظرت إلى ماثيو.

تشدّق هذا الأخير بكلامه وهو يضع يداً واحدة على صدره بطريقة لافتة: «أصبحت جنة الآن لأنك موجودة هنا، يا قلبي».

وجّهت روز إليه ضربة عنيفة حانقة، تملّص ماثيو منها بضحكة، وحذّرته: «إذا استمريت بهذا، كيف يمكنني أن أحترمك؟».

فضلت من كل قلبها أن تتصرّف معه بتلك الطريقة على أن تشعر بالضعف الشديد في جميع أطرافها، تجاه تحبّبه الساخر.

٨ - تحدٍ وعناق

قالت روز وهي تبدو مرتاحة: «ليس هناك من يستقبلنا».

وافقها ماثيو، ولم يبدُ عليه أنه يشاركها ارتياحها: «لا».

رمقته بنظرة فضول وسألته: «هل أنت مستاء؟».

مرّر ماثيو عينيه بسرعة على وجه روز، فيما بدت نظراته باردة كالفولاذ، وقال: «أنتِ زوجتي، وعدم وجود أحد لاستقبالك هو ازدراء متعمّد».

هو لا يبالي بالطريقة الفظة التي يحبّ أندريوس أن يعامله بها، لكنه أراد أن يضمن أن يعامل أبوه زوجته بالاحترام الذي تستحقه.

- لكنني لست كذلك.

رمقها ماثيو بنظرة غريبة، وردّ عليها: «هو لا يعرف هذا».

«سيعرف على الأرجح بعد خمس دقائق تقريباً من رؤيتنا معاً»، فكرت روز، وهي تضغط بيدها على معدتها المتقلبة.

- ما من حاجة لأن تشعري بالتوتر.

حاولت روز أن تبتسم ثم قالت هازئة: «اعتقدت أنني أخبىء التوتر جيداً».

- ادخلي.. كان يوماً طويلاً. ستشعرين بالتحسن بعد الاستحمام.

عرفت روز أن الأمر سخيف، لكن الضغط الخفيف ليده على أسفل ظهرها مدَّها بثقة أكبر.

في منتصف الطريق صعوداً إلى الڤيلا، التقيا برجلٍ يرتدي زياً

رسمياً، انحنى الرجل قليلاً لروز، ثم استدار إلى ماثيو ووجه إليه - كما بدا لروز - اعتذاراً مُسرفاً.

ردّ عليه ماثيو باللغة نفسها، ومشى الرجل أمامهما بقية الطريق. حين وصلا إلى المدخل، وهو عبارة عن ردهة زجاجية تتشعب منها أروقة عدّة، استدار ماثيو إلى روز وقال: «سيقودك سايبرس إلى غرفتك».

- ألست قادماً؟

- عليّ أن أكلّم أندريوس.

راقبته وهو يمشي بخطوات واسعة، وحاولت ألا تشعر بأنها مهجورة. بعدئذٍ استدارت إلى الرجل ذي الزي الرسمي الذي راح يبتسم لها بجرأة، وتبعته إلى داخل القيلا.

كان والد ماثيو في مكتبه. رفع بصره إلى ماثيو حين دخل الغرفة، ثم أعاد انتباهه فوراً إلى الجريدة التي كان يقرأها.

مشى ماثيو باتجاهه، فانتزع الجريدة منه وطرحها أرضاً.

نظر إليه الرجل العجوز فاغراً فاه مندهشاً، وقال متوعّداً: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟».

- أضع بعض القواعد الأساسية، أندريوس.

ردّ الرجل العجوز بسخرية: «أتضع القواعد لي؟».

أوضح ماثيو، خاطفاً ابتسامة باردة ما جعل الرجل الآخر يشعر بالحذر للمرة الأولى: «القاعدة الأولى... في الواقع، ثمة قاعدة واحدة فحسب».

وأضاف: «في المستقبل، لن تتجاهل روز بأي طريقة أبداً. ستعاملها بالاحترام الذي تستحقه».

قام أندريوس عن كرسيه، وقال: «أصبحت حسّاساً فجأة. من هي روز هذه، على أي حال؟».

- هي المرأة التي تضع خاتمي... هذا كل ما عليك معرفته، هل تفهمني؟

- آه! أفهمك، تأتي إلى هنا وكأنك تملك المكان.

- أنا أملكه فعلاً.

صلابة ماثيو زادت من حدة اللون في بشرة الرجل العجوز الذي قال معلقاً: «لو كان ألكس حيّاً، لما حدث شيء من هذا الآن».

- ألكس ليس حيّاً.

اتهمه أندريوس، موجهاً إصبعه نحو ابنه البكر: «لطالما كنت تغار منه».

أذعن ماثيو: «لو كان شخصاً آخر لفعلت، لكنه كان ألكس».

في الواقع، من الصعب شرح الأمر، لكن لم يكن بإمكان أي شخص أن يغار من ألكس، إذ إنه لم يوحِ بأحاسيس سلبية إلى الناس على الإطلاق.

رسمت تلك الذكرى على وجه ماثيو عبوساً داكناً. وما لبث أن تابع يقول: «والآن أنا لست مستعداً لأن أرى خزائن عائلة ديمتريوس تبتلع ثروة عائلة كونستانتين. سأتزوّج بالمرأة التي اخترتها لا بامرأة اخترتها أنت لي».

- ساشا مغرمة.

- هي تعتقد هذا.

هذه هي المشكلة! تعذبت المسكينة بعد موت ألكس وكان ماثيو موجوداً. أظهر لها القليل من العطف فتعلّقت به. في المسار الطبيعي للأمور، كان لهذا الولع أن يخمد طبيعياً، لكن أهلهما عززاه عبر إيجاد الوسائل لجمعهما معاً.

الفتاة المسكينة ما تزال ضعيفة جداً، ألم يستطع المحتالان العجوزان أن يريا مدى وحشيتهما تجاهها؟

استدار ماثيو وهو يضع يده على مقبض الباب، وقال: «لا تحاول أن تتلاعب بي، أندريوس، لا أحد يستطيع خداعي».

* * *

خارج الغرفة، كاد ماثيو يصطدم بكتلة جامدة، وقبل أن يدفعها بحزم بعيداً عنه ثبّت روز واضعاً يديه على كتفيها كي يستطيع النظر إلى وجهها.

- ماذا تفعلين هنا؟

-أبحث عنك.

سألها، وهو يهزّ رأسه باتجاه الباب خلفه: «هل سمعتِ الحديث؟».

- سمعت كل شيء.

سمعت بما يكفي لكي تعرف كم أحب ماثيو أخاه. استطاعت أن تسمع هذا في صوته. اندهشت روز لأن أباه يبدو متجاهلاً كلياً لألم ابنه المتبقي على قيد الحياة. أما بالنسبة لعلاقة ماثيو بأبيه، فبدت لها أقسى حتى ممّا توقعتها أن تكون. فكرت بسخرية أنه لولا تدخل أندريوس، لأمكن أن يقع ماثيو بحب ساشا.

أتراه كان مغرماً بها من قبل؟

- لم أقصد، كان الباب مفتوحاً و...

- قرّرت أن تسمعي.

لم يبدُ ماثيو متضايقاً وهذا ما فاجأها. أجابت: «حسناً! لم تكن هادئاً كلياً».

- حسناً! لِمَ تبحثين عني؟

- كنت أشحن هاتفي في الطائرة، ووضعته أنت في جيبك. والآن أريد أن أتصل بأختي.

أخرج ماثيو الهاتف من جيبه وأعطاها إياه قائلاً: «ها هو».

شهقت روز شهقة خفيفة حين لمست أطراف أصابعه أصابعها.

- ألديك أخت؟

هزّت روز رأسها إيجاباً، متسائلة عن ردّ فعل ماثيو إذا ما اكتشف أنه التقى ريبيكا من قبل.

- وهل أنتما مقربتان من بعضكما؟

وافقت روز: «كثيراً جداً».

وأضافت: «بالرغم من أنها متزوجة الآن، ونحن لا نرى بعضنا كثيراً».

قال ماثيو شيئاً لسايبرس الذي سرعان ما توارى عن الأنظار، ثم وجّه كلامه إلى روز: «تعالي، أنت منهكة. يجب أن تستلقي قبل الغداء».

لم تستطع روز أن تدعي أن الفكرة ليست جذابة، فقد بدأ النهار يلقي بعبئه الثقيل عليها.

- هذا هو جناحي.

دفع ماثيو الباب ليفتح وتقدّم روز إلى غرفة جلوس كبيرة مرتبة ومفروشة، وقال: «غرفتك هناك».

أشار إلى باب مقفل إلى يسارها وأضاف مشيراً إلى الغرفة التالية: «وهذه لي».

وأردف: «والداك... هل هما على قيد الحياة؟».

أجفلت روز وهي تسمع نفسها تقول: «هل ساشا جميلة؟».

- نعم، هي جميلة.

تساءلت وهي تنظر إلى اللوحات المعلقة على الحائط: «إذاً، لِمَ لا تريد أن تتزوج بها؟».

وأضافت: «هل هذه كلها حقيقية؟».

ردّ ماثيو، من دون أن ينظر إلى اللوحات: «نعم هي حقيقية».

كان السروال الذي ترتديه روز بتفصيلته الواسعة ينزل بطريقة انسيابية فوق فخذيها ووركيها كلما تحركت.

- أنت امرأة جميلة أيضاً.

أشعرتها كلماته بالصدمة، فاستدارت والحرارة تتسارع إلى خدّيها، وسألته: «هل تحاول تغيير الموضوع؟».

جمالها لم يكن موضوعاً بعيداً جداً عن أفكاره، لكنه قرر أنها ليست اللحظة المناسبة لذكره. همهم ماثيو، وهو يتقدم إليها: «لا، أنا أحاول أن أعطي إطراءً، من كان يظن... أن الأمر سيكون بهذه الصعوبة؟».

أردفت روز بحذر: «حسناً... شكراً».

وتابعت تسأله: «لِمَ لا تريد أن تتزوج بها؟».

تنهّد ماثيو وغرق في كرسي، أسند ذقنه على أصابعه الممشوقة، ثم نظر إليها وقال: «هل نتكلم عن ساشا مجدداً؟».

فكرت روز، وعلى ملامحها الناعمة عبوس ينم عن عدم رضىً، فيما رست أفكارها على صورة ذهنية لأولاد ذوي بشرة ذهبية وعيون رمادية وشعر أسود غامق: «إذا كانت جميلة، فسوف يكسب أولادك إرثاً جينياً مزدوجاً».

كذلك رسا نظرها على بنات صغيرات ذوات شعر مجعد وأفواه لطيفة منحنية.

- سأعتبر هذا إطراءً.

أجابته وهي تشعر بالحرارة تتدفق في عروقها: «وكأنك غير واعٍ تماماً إلى أنك حَسَن المظهر».

ركزي روز! قالت ذلك لنفسها وهي تأخذ نفساً عميقاً وتقول غاضبة، فيما أمسك ماثيو رسغها وجذبها إلى ذراع الكرسي: «ماذا تفعل؟».

فسَّر لها بجفاف: «أنظر إلى عنقك».

- حسناً! لا تفعل. لا أحب هذا.

لم تستطع روز أن تجد الكلمة المناسبة لتصف الحرارة البطيئة التي راحت تغزو كل خليّة في جسدها.

- أتريدين أن تعرفي عن ساشا؟ سأخبرك، كانت تحب أخي، وبعد وفاة ألكس أرادت شخصاً تحبه، وكنت أنا موجوداً.

- قال أبوك إنها تحبّك.

أجاب ماثيو، والغضب بادٍ عليه: «مجرد ولع، ليس إلا».

أرخى قبضته عن ذراع روز فوقفت بسرعة، وقالت وهي ترجع سريعاً إلى الباب: «أظن أنني سآخذ قيلولة كما قلت لي».

* * *

كان الباب الذي يربط غرفتيهما مفتوحاً جزئياً، وافترضت روز أن الخادم الذي أحضر لتوّه أزهاراً نضرة إلى غرفتها هو من تركه كذلك.

ضغطت على شفتيها، ثم دقّت على الباب المشترك بطرقات قوية. شعرت بالغرابة لمجرد أن تعرف أن بإمكان ماثيو الدخول إلى غرفتها متى شاء حين تكون نائمة.

- الباب مفتوح.

خطت روز إلى الداخل، وقالت: «لدي مشكلة بسيطة مع هذا الأمر».

كان ماثيو يقف بجانب النافذة، يحدّق بالبحر.

- هناك مفتاح إذا كنت قلقة على طهارتك.

فيما هو يتكلم، استدار إليها فراح نبضها القوي يضرب قفصها الصدري بضربات غير منتظمة عالية الصوت. بدا ماثيو جذاباً جداً في بذلته الداكنة الرسمية. أنزلت رموشها في حركة وقائية، وابتلعت ريقها وهي تشعر بالخجل من الحرارة الناعمة التي تغزو جسدها من دون رحمة.

– ولا تعتقد أنني لن أستعمله.

مال ماثيو برأسه قليلاً، ونظر إليها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، وكافحت كي تسيطر على توترها.

– هذا يدعو للأسف.

انزلقت عيناه مرة أخرى على فستانها الحريري الأزرق الباهت الفضفاض التي اعتنت في انتقاه: «آه! أنت تبدين حسنة المظهر».

ظهر حنقها الشديد وهي ترمقه بنظرة عدائية، وسألت بصوت هادىء وخطر: «هل أبدو حقاً بمظهر حسن».

لم تشأ أن تبدو حسنة المظهر فقط، أرادت أن تبدو رائعة الجمال.

النبرة الخطرة في صوتها أيقظت بريقاً من المرح في عينيه الرماديتين العاقدتي العزم، لكن تعبيره بقي جدياً وهو ينظر إليها ويقول متأسفاً: «آسف لأنك لم تختاري لباساً يظهر...».

ترك ماثيو نظراته تنزلق إلى أنحاء جسمها الذي يتمايل تحت ثوبها الأنيق.

– يظهر ماذا، بالضبط؟

– أجزاء من جسمك، قد تشتت أفكار أبي إذا ما سأل أسئلة غريبة.

– ألم تسمع قط... بآداب الكلام؟.

– سمعت عنه، لكن ليس لدي الوقت الوفير له. لا تأخذي الأمر شخصياً، روز. أحاول أن أكون عملياً فحسب.

ردّت روز عليه بسرعة، وهي ترتعش من الحنق تقريباً: «عملياً؟».

– أعتقد أن ما من شيء خاطىء في استعمال مصادر القوة التي تملكينها، ولا تقولي لي إنك لا تفعلين.

ذلك الاقتراح الساخر جعل مزاج روز يفور فأجابته: «لا، لا أملكها».

عرفت روز أنه يفترض بها ألا تجيب على هزة كتفه التي تنم عن

شكّه، إذ بدا من الواضح أنه يحاول أن يستفزها، لكنها لم تستطع إقفال فمها.

قالت: «في ما يتعلق بتشجيع أي فرد من أفراد عائلة ديمتريوس على النظر إلي بوقاحة، لا أظن ذلك... إن مجرّد التواجد مع أي شخص يحمل ذلك الاسم ولأي مدة من الوقت كافٍ ليجعلني أرغب بأن أستلقي في غرفة هادئة مظلمة».

– لم تكن لديّ فكرة عن إحساسك هذا.

نظر ماثيو إلى ساعة يده وتنهّد قائلاً: «لسوء الحظ، لا يحب أبي التأخير، وإلا لكنت مستعداً تماماً لتنفيذ رغبتك هذه».

اندفع اللون إلى وجهها بسرعة. إنه يملك مقدرة خارقة على قراءة أفكارها. قالت شارحة: «أقصد، وحدي في غرفة مظلمة مع كمادة باردة على رأسي، ولا علاقة لك بالأمر».

لكنها تساءلت كيف تراها تشعر لو أنه عانقها في غرفة مظلمة؟

لا شك في أن جاذبيته الطبيعية هي ذات تأثير مرعب عليها. شعرت بوجهها يتوهج بالحرارة بسبب الخجل، فضربت يدها بقوة على جبينها الذي بدأ بدوره ينبض بقوة وهي تتكلم منذراً بالخطر.

– إذا كنت تريد تشتيت أفكار الآخرين، ماثيو، مستخدماً ما تملكه من جاذبية...

بالطبع هو يملك الكثير، أخذت نفساً عميقاً ثم اقترحت: «لِمَ لا تخلع قميصك وتذهب لتناول الغداء؟».

عقدت روز ذراعيها على صدرها، ما جعل القماش الحريري حول جسمها يشتد.

– لنرَ كيف تشعر إذا كنت محط الأنظار وسبباً لتشتت الآخرين.

– لا أظن أن الأمر مشابه مطلقاً.

لاحظ ماثيو أن الطريقة التي يتشبّث فيها النسيج الرقيق البراق بثنايا

جسمها الأنيق مذهبة للعقل.

ضحكت روز بتوتر، فيما أشاحت ببصرها بعيداً وهي تحاول أن تسيطر على مشاعرها.

ابتسمت قليلاً وقالت: «يا للرجال! إنهم جميعاً متشابهون».

ما الذي تستطيع قوله غير ذلك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، ورفعت ذقنها ثم رسمت على وجهها ابتسامة ثابتة.

- إذاً، هل تشعرين بالملل؟

اعترفت، وموقفها يتأرجح بين الغيظ والاحباط: «لم يكن هذا تحدياً، أنت رجل رائع الوجه والجسد».

وأضافت: «إلا أنني لست من نوع النساء اللواتي يحببن الرجال الجذابين جداً بعضلاتهم الضخمة، فالمعدة المشدودة العضلات عند الرجل لا تعني لي شيئاً».

ربما لا ينطبق هذا الأمر على ماثيو بالتحديد، فالرجال الجذابون جداً الذين يتباهون بمظهرهم يُنسون فوراً، ولم يكن ماثيو واحداً منهم.

فيما لا تزال ابتسامة خطرة مندسة خلف عينيه الرماديتين تتشبث بنظراتها، جعل ماثيو ربطة عنقه المفكوكة تنزلق من حول عنقه. وقال: «لن يزعجك الأمر إذا...».

راقبته روز، وعيناها واسعتان كالصحن من الخوف الذي انتابها، فيما بدأ ماثيو يفك أزرار قميصه مبيناً في غضون ثوانٍ جزءاً من البشرة الذهبية المغطاة بشعيرات جسده الداكنة. بللت روز شفتيها بلسانها وأخذت نفساً مرتعشاً فيما توترت عضلاتها وامتد التوتر حتى أصابع قدميها المتشنجة، إلا أنها كانت بصوت أجش: «إن كان أبوك لا يحب التأخير، فقد لا تكون هذه اللحظة المناسبة لتعبّر عن ميولك الاستعراضية».

أظهرت قميصه المفتوحة قسماً كبيراً من صدره القوي المشدود العضلات. وقفت روز باتزان على قدميها لتفر من المكان، لكنها لم تقدر على استجماع قوتها لتترك عينيه الداكنتين اللتين استحوذتا على كل انتباهها. أخيراً نجحت في أن تدير رأسها. انقبضت يداها وهي تكافح لتهدىء من روع أنفاسها غير المنتظمة وتدفع كميّة هواء كافية إلى رئتيها لتوقف رأسها عن الدوران.

قالت بصوت أجش: «لا أحب تلك الألعاب التي تقوم بها».

- لا أمارس الألعاب، روز.

لحظت روز نبرة في صوت ماثيو لم تسمعها مسبقاً. جعلتها ترغب بأن تتفحّص وجهه، لكنها عرفت أنها فكرة سيئة. قطع ماثيو المسافة التي تفصلهما عن بعضهما في ثوانٍ، ثم أحاط وجهها بأصابعه، ولوى رأسها باتجاه رأسه.

ارتخت ركبتا روز لرؤيتها تلك الالتماعة المميزة في عينيه، واندفعت الأحاسيس بقوة مؤلمة في خلايا جسمها كافة. سوف يعانقني! تبع هذا الإدراك المنذر بالخطر إدراك أكثر خطورة: أريده أن يفعل!

فكرت أن من السهل أن تحاول تلطيف الأجواء، إذ بإمكانها الضحك في وجهه، أو الابتعاد عنه أو القول إنه يأخذ الأمر على محمل الجد كثيراً. إلا أنها لم تفعل أياً من هذا. اتخذت خياراً ليس موجوداً على اللائحة، وبدأت ترتجف كأنها مصابة بالحمى، وما لبثت أن غرزت أصابعها في الخصل اللماعة السوداء لشعره.

بقيت أصابعها مشبوكة في شعره فيما ضمها ماثيو إليه في عناق قوي، أخذت روز نفساً حين اشتد ضغط ذراعيه حولها وهو يقربها برفق منه.

حرّر ماثيو إحدى يديه ليمرّر إصبعاً واحداً على خدّها وهو يقول:

«عناقك جعلني أشعر بالسعادة».

ابتلع ماثيو ريقه، وتحركت عضلات رقبته وهو يمرّر يده بلطف على حدود فكها السفلى فارتعشت روز وتأوّهت بلطف. تابع بصوت منخفض أجش: «إنها سعادة تفوق الوصف».

بعينين متسعتين ومفعمتين بالشغف، رفعت روز يداً إلى خدّه، وانزلقت أصابعها على طول الخط الصلب لخده وفكّه، وما لبثت أن لمحت حركة بطرف عينها.

وعيها بوجود مشاهدين سرى في جسدها كقشعريرة باردة. لم يكونا وحدهما. لو لم يكن ماثيو ممسكاً بها لسحبت يدها بعيداً عن وجهه، وقال بنبرة سطحية وهو ينظر إلى شخص ما وراءها: «مرحباً، ساشا».

- ع... عفواً، لم أعرف...

بدت الفتاة الجميلة بائسة وخجولة حين نظرت إليهما. لو لم تكن روز مشغولة بالتعامل مع خجلها، لشعرت بالأسف حيالها.

- جئت لأقول إن الغداء... أبوك ينتظر.

- سنأتي بعد قليل.

أقفل الباب، ولم يقم ماثيو هذه المرة بأي محاولة ليمنعها من الابتعاد عنه، حسناً! لن يفعل. أليس كذلك؟ ما من أحد يقف الآن ليرى مشهد العناق اللطيف.

اندفعت موجة من الاشمئزاز الذاتي في معدة روز وهي تتراجع ونظرها مركّز على ماثيو في قرف.

لن تقع في حبّ ماثيو. قالت لنفسها إن ما حصل بينهما هو مجرّد انجذاب حسي، وهو انجذاب تستطيع السيطرة عليه. إنها تبلغ السادسة والعشرين من عمرها، ولطالما نجحت في السيطرة على مشاعرها.

- والآن، أين كُنا؟

* * *

تراجعت روز بسرعة، وكادت تتعثّر فوق طاولة منخفضة. أعادت الطاولة والتمثال الخزفي الصغير الذي كاد يقع والذي أنقذته لتوّها إلى مكانيهما، ثم قوّمت وضعيتها، ورفعت حافة قبة فستانها بضعة سنتيمترات قبل أن تملّسه. أغمضت عينيها، وعدّت حتى العشرة ببطء. عندما فتحتهما، كان ماثيو يحدّق بها.

سألته: «هل كان ذاك ضرورياً حقاً؟».

فيما استمر ماثيو في التمعن في وجهها المحمّر بطريقة مزعجة، فكرت روز ما الذي يراه؟ لو عرف ما الذي تشعر به، فذلك يعني أنه متقدم عليها بخطوات، إذ إنها بالتأكيد لم تكن تعرف حقيقة ما يصيبها، فهي لم تشعر بالحيرة طوال حياتها كما تشعر بها الآن.

صدر صوت من خارج النوافذ على الرواق فتشتت انتباه ماثيو قليلاً. أطلقت روز نفسها الذي كانت تحبسه بغير وعي في تنهيدة ارتياح مرتعشة.

فجأة استدار ماثيو فيما كانت هي تجلس بتثاقل على الكرسي، وقال: «لم أستطع مقاومة نفسي».

بدا مصدوماً لإدراكه مدى اندفاعه ورغبته بمعانقتها. بالطبع، هو ليس من الرجال الذين لا يبالون بالنساء الجميلات، لكنه لم يسمح لغرائزه بأن تقوده يوماً.

بدت روز حازمة جداً وهي تجلس على طرف الكرسي ويداها ملتفتان بأناقة فوق حضنها. أما شفتاها فبدتا مزمومتين. قال ماثيو مفسراً: «شعرت أنني مدفوع للقيام بذلك».

زاغت نظراتها بسبب الشوق الملتمع في عينيه، إذ لم ينظر أي رجل آخر إليها بالطريقة نفسها قط.

- أنا أضع خاتمك.

رفعت روز يدها المعنية حيث عكس الزمرد المحاط بطبقات الماس النور الساطع حولهما. تابعت معلقة وهي تفكر بساشا: «أعتقد أنها فهمت الرسالة، مع أن ذلك بدا قاسياً».

- أنت ترتجفين.

صوته جعلها ترتعش لكن ليس بقدر لمسته. فيما حدّقت إلى أصابعه الطويلة الداكنة جداً على بشرتها الباهتة، وهي تحيط برسغها، اعترتها رعشة امتدت على طول عمودها الفقري، تبعتها رعشة ثانية وثالثة، فيما جفّت حنجرتها. أجابت بسرعة، رافعة ذقنها في دفاع غاضب: «لا يعجبني أن تستخدمني لإغاظة صديقتك».

- حين عانقتك، بدا أن الأمر أعجبك.

رغبت أصابعها بقوة في صفع الابتسامة المتكلفة الراضية التي ظهرت على وجهه والتي عكست اعتداده بنفسه.

لم تستطع روز تجاهل مراقبته من دون أن تبدو غبية تماماً، سلكت الطريق الآمن وتجاهلت تعليقه. سالته بمرارة: «ما الخطب فيّ؟».

وتابعت: «استخدمتني لأنني حمقاء جداً، وأنا على وشك أن أقول لك شكراً».

فكر ماثيو بالرجل الذي تخلّى عن روز في المذبح. ومضة من الازدراء بانت في عينيه الضيقتين، وهو يفكر بذلك الخاسر المسؤول عن الوجه ذي الملامح الدفاعية التي بدأت الآن ترتجف تماماً.

مهما كانت أخطاؤه، لم يقدم ماثيو أي وعود لا يستطيع أن يفي بها. سأل نفسه، أي نوع من الغباء هذا الذي يجعل شخصاً يتراجع في اللحظة الأخيرة، بعد أن يقنع الآخر أنه يريد مشاركته بقية حياته؟ تساءل، أتراها ما زالت تحبّ هذا الحبيب السابق الذي هرب؟ لم يكن على وجه روز أي دليل على عاطفة رقيقة فيما أشارت بإصبعها باتجاه صدره وزمجرت.

- حسناً! خبر عاجل: أنا لستُ حمقاء. هل تظن أنني لم أعرف أنك عانقتني لأن ساشا كانت واقفة هناك؟ يا إلهي! لا أعتقد أنه كان من الضروري أن تصل إلى هذا الحد لتعبّر عن فكرتك.

- هل أنت غاضبة لأنك تعتقدين أنني عانقتك بهدف التظاهر أمام ساشا؟

ظهرت بقعتان من اللون على خدي روز وهي تقلب عينيها، وقالت بصوت ملؤه التهكم: «لا. أظن أنك عانقتني لأن الجنس الآخر لا يستطيع مقاومتي».

تنشقت روز نفساً عميقاً، وعقدت ذراعيها فوق صدرها. وجه ماثيو نظره على حافة عنق فستانها المحتشم، ثم قال: «لا أستطيع أن أتكلم باسم كل الرجال، لكن لديك تأثير مهلك عليّ يفقدني السيطرة على نفسي».

أطلقت روز ضحكة غاضبة وسألته: «ما هي الكلمة الأخيرة المضحكة؟».

مرت برهة من الوقت التقت فيها عيونهما. بعدئذٍ جاء صوت ماثيو بعيداً عن النبرة الساخرة حين قال: «هذه ليست مزحة».

أو ربما كانت كذلك بالنسبة إلى رجل لطالما افتخر بنفسه لعدم انصياعه لغرائزه، وها هو يجد نفسه وقد وقع فجأة تحت تأثير سحر امرأة لا تزال متعلقة برجل حطّم قلبها.

انقبض فكّا ماثيو فيما كافح ليسيطر على فورة الغضب غير المنطقية التي اجتاحت جسده لفكرة أنّ روز ما زالت راغبة في رجل آخر، ثم قطع المسافة التي تفصلهما بخطوة كبيرة.

حدّق إليها بتوهج فيما غطى جهة واحدة من وجهها بيده، بدت بشرة روز ناعمة ودافئة الملمس...

قال ماثيو فيما رآها تميل بعيداً عنه: «وأنت تشعرين بالمثل».

جمدت روز، وتطايرت شرارات غضب من عينيها. ثم استدارت ببطء إلى الخلف ووضعت يديها على وركيها فيما رفعت ذقنها، وأجابته بسرعة: «كيف تتجرأ وتحدثني عمّا أشعر به؟».

وأردفت: «ليس لديك أقل...».

قاطعها ماثيو قائلاً بنبرة متوسلة: «أرجوك، لا تكلميني عن تلك السخافة... كان يمكن أن تتواجد جوقة من عشرين شخصاً يرتلون بأعلى أصواتهم من دون أن تلاحظي».

قضمت روز شفتها، وهي تدرك أنها مهما ستقول فإن الحرارة ستتسارع إلى خديها. أي امرأة في مثل عمرها، ما زال خداها يحمران خجلاً؟ أما من حبّة دواء تعالج ذلك التقلّب؟

- لا أعلم لما يصعب عليك الآن القبول بما هو واضح، نحن مرتبطان والعلاقة بيننا أمر طبيعي».

لم تتفوه روز بكلمة لأنها لم تستطع ذلك. انحسر احمرار الخجل عن وجهها، وتركها شاحبة اللون كالموتى، فيما طارت نظرتها المصدومة إليه.

- فكري بالأمر.

مرة أخرى، بدت تصرفات ماثيو ارتجالية، فما أسهل أن يقرّر إقامة علاقة حميمة مع أحداهن... كرد فعل على ضغط يده على أسفل ظهرها، بدأت روز تتوجّه نحو الباب.

* * *

- نحن آسفان على التأخير.

رأت روز سبعة أشخاص يجلسون حول الطاولة، بقيادة الشخصية القوية ذات الشعر الرمادي: أندريوس ديمتريوس، الذي جلس على رأس الطاولة، ووقف الرجال بلباقة فيما اقتربت روز منهم.

قام ماثيو بتقديمها إلى الحاضرين، فيما وضعت روز على وجهها

ابتسامة وهي تفكر أن هذه الابتسامة الملتصقة قد يحتاج نزعها لاحقاً إلى تدخل جراحي.

لطالما كان الدخول إلى غرفة مَلأى بالغرباء أمراً مثيراً للتوتر، أما حين تدعي أنك شخص آخر فإن مخاطر التوتر تتضاعف مئة مرّة.

رمقها أندريوس بنظرة تقيمية قاسية، فابتسمت روز له. لو لم تكن مشتتة الفكر بالمشهد الذي حصل قبل قليل، لاستطاعت أن تظهر القليل من الاحترام الذي يعتبر والد ماثيو القوي أنه يستحقه.

- حسناً!

توقفت روز ونظرت إلى مضيفها وهي على وشك أن تأخذ مكانها، ورأت ومضة الغضب في وجهه. اللعنة!

- سأل أبي إذا كنا قد استمتعنا برحلة جيدة؟

- بالطبع. لست معتادة على السفر بهذه الطريقة الفخمة.

أدارت روز رأسها وجلست على الكرسي الذي قدّمها لها ماثيو. التقت عيونهما للحظة قبل أن يسوي وضعيّته، ووجدت أن من الصعب قراءة تعبير وجهه، لكن بدا عليه التوتر. هل اعتقد أنها بذلت مجهوداً لتغضب الرجل الأكبر سناً؟

إلى جانب ولدا العم اللذان كانا نسختين أكثر شحوباً وأقل ضخامة من أندريوس، كان أندريوس نفسه، والمحامي الذي تم التعريف عنه كصديق للعائلة، وساشا اللطيفة وأمها، وامرأة نحيفة كانت تشرب ماءً وتحرك طعامها في صحنها.

نظرت الأم إلى روز بنظرةٍ تفتقر إلى الدفء والحيوية اللذين كانا ينضحان من وجهها حين وجهت الكلام إلى ماثيو الذي يجلس قبالة روز. بدت مشاعر ساشا واضحة جداً تجاه ماثيو وهي تنظر إليه، ووجدت روز صعوبة في التصديق أن باستطاعة ماثيو أن يبقى غير مبالٍ لافتتانها الخجل به. بدت الفتاة الأصغر سناً رائعة الجمال بفستان أظهر

كتفيها الناعمتين ذات البشرة الذهبية الباهتة. في اللحظة التي وقعت فيها عينا روز على الشقراء اليافعة، شعرت أن ملابسها هي نفسها تبدو رثة وثقيلة.

بعد أن تم تقديم طبق السمك، تبدل إحساس روز الأولي بعدم الارتياح إلى إحساس بالاهمال القلق. تساءلت إن كان أحدهم سيلاحظ حقاً مغادرتها إذا فعلت، حين قاطع صوت أندريوس حديث طاولة الغداء الهادىء: «إذاً قال لي ابني إنكما التقيتما في موناكو».

رفعت روز عينيها عن طعامها، وفيما وضعت الشوكة على صحنها، انتقلت عيناها من أندريوس إلى ماثيو الذي كان جالساً إلى جانبها.

سمعت ساشا تقول متحمسة فرحة: «آه! أحب موناكو».

ثم تابعت: «هي المكان المفضل لي في العالم كله تقريباً».

قالت روز بصوت واضح سمعه كل من على الطاولة: «لم أذهب إلى هناك قط».

لم يظهر على ماثيو الرعب أو حتى أي اهتمام بسيط لأنها لا تقوم بدورها كما يجب، ورأت روز في عينيه بريقاً يظهر عدم اكتراثه قبل أن يحني رأسه، مركزاً انتباهه مجدداً على صحنه.

نقل أندريوس انتباهه إلى ابنه، وسأله مستجوباً: «هي تقول...».

ارتفع رأس ماثيو المغطى بالشعر الداكن، وانعكس التحذير في عينيه على صوته العميق، حين أجاب: «اسمها روز... وهي جالسة بالقرب منك».

تحرّكت عيناه باتجاه روز وقال لها: «آمل يا صغيرتي أن تسامحي أبي. هو لا يقصد إهانتك، لكنه يدير الأمور كيفما اتفق».

فتح أندريوس فمه ليوجه تحذيراً قاسياً، لكن روز تمكنت من أن تسبقه، مذكّرة نفسها أن ماثيو يلعب الدور المطلوب منه فحسب في دفاعه عنها: «من الواضح أنها الجينات نفسها».

وكأن روز تحتاج إلى من ينقذها. إنها تستطيع الدفاع عن نفسها، إلا أن ثمة استثناء وهو حين كانت على وشك أن تسقط في وسط البحيرة الجليدية. في الواقع، تمر لحظات تنسى روز فيها أنها تدين له بحياتها.

- لنزل الأمر عليّ كصدمة صاعقة لو اتضح أن تصرفات أبيك منزّهة عن الخطأ.

هذا الاستهزاء رسم على وجه ماثيو ابتسامة كبيرة ملتوية جذابة، أما أبوه فبدا أبعد ما يكون عن استيعاب تعليقها، وحين فهمه انخفض فكه بقوة. لم يسبق لأندريوس أن صادف ضيوفاً يصفونه بالفظ.

- النساء الشابات...

قاطعه ماثيو: «روز...».

- روز، تبدين شابة صريحة، هذا بلا شك ما انجذب إليه ابني، لكنني لا أحب...

قاطع تشدق ماثيو الواهن توبيخ أبيه: «لا، أنا سطحي التفكير، وقدرتها على التعبير عمّا يدور في ذهنها هي مسألة خارج القائمة».

توسعت ابتسامة ماثيو فيما انزلقت عيناه بنظرات معبرة إلى جسدها.

توهج وجه روز خجلاً، وسقطت الشوكة من يدها على الأرض محدثة قرقعة، وقالت: «لا أظن أن أباك مهتم».

- يا لك من بريئة! بالطبع هو مهتم، روز، سأكون متفاجئاً إلى أقصى حد إذا لم يشكل مجموعة تضم محققين خاصين يعملون على مدار الساعة بحثاً عن أدق التفاصيل بشأنك. ستجدينه غداً على علم بمقياس حذائك ولونك المفضل. يمكنني أن أوفر عليك العناء أندريوس، ما من شيء قد تقوله لي عن روز سيصدمني.

ظنت روز أنه يمزح إلى حين رأت تعبير الرجل اليوناني الأكبر سناً. اختفى اللون من وجهها بسبب تلك الفكرة.

قال أندريوس، من دون أن ينكر ما اتهمه به ابنه: «إذاً، لم تلتقيا في

موناكو؟ أفترض أنكما أيضاً لستما متزوجين».

ركزت روز نظرتها على الرجل الأكبر سناً، وقالت من بين أسنانها المطبقة: «لا يمكنك افتراض أي شيء، فنحن لسنا حتى...».

- ليس حتى ماذا؟

علّق ماثيو بسرعة: «حبيبين».

إن الإيحاء الصريح في صوت ماثيو الخفيض الناعم الدافىء، والذي أوحى بوجود علاقة حميمة بينهما جعل اللون يتسارع إلى وجه روز. هذا الأمر خفف من حدّة التوتر على الطاولة إذ بدأ الحاضرون يأكلون مجدداً.

أما ماثيو فلم يستأنف الأكل، بل وضع شوكته، ونظر إلى روز مباشرة. أخذ قلبها يدقّ بقوة وهي تقرأ الرسالة التي تلتمع في عينيه الرماديتين، إنها مزيج من التحدي وشيء آخر صعب عليها فهمه.

بعد أن رمقته بنظرة اشمئزاز أخيرة إلى وجهه الداكن غير المكترث، ركزت نظرها على صحنها. لم تستطع روز بعد ذلك أن تميز ما الذي تناولته من طعام خلال الوجبة التي بدت لها دون نهاية.

بعد الانتهاء من تناول الطعام لمس ماثيو كتف روز وترك يده هناك، كأنه بهذه الحركة يعلن أنها ملكه. لم تشك روز قط أنه يفعل ذلك لكي تراه النساء الأخريات. قال لها: «أمضينا وقتاً طويلاً».

هزت روز رأسها إيجاباً، وتساءلت إن كان هناك من وسيلة تجعله يرفع يده عنها من دون أن توضح له أن لمسته تسبب الاضطراب لجهازها العصبي.

أعلن كأنه حبيب ملهوف: «سننام باكراً».

أطبقت روز أسنانها وهي تحاول جاهدة ألا تفكر بما حصل في وقت مبكر من هذه الليلة بينها وبين ماثيو. استجابت روز لضغط اليد تحت مرفقها، ووقفت على قدميها.

في تلك اللحظة انسابت صورة إلى مخيلتها و... لم تعد روز متأكدة... هل صدر الأنين من ذهنها أم من فمها فعلاً؟ الطريقة التي نظر بها الجميع إليهما أجابت عن تساؤلها.

أصبحت نبرة صوت ماثيو العميقة الناعمة أكثر خشونة جراء قلقه، فيما تمعّن في وجه روز وسألها: «هل أنت بخير؟».

هزت روز كتفيها مبعدة يده عنها، وقالت له: «هل خطر ببالك أنني قد لا أرغب في النوم باكراً؟ أنا قادرة تماماً على أن أقرر الساعة التي أريد أن أخلد فيها إلى النوم».

اعترف ماثيو: «أتريدين الحقيقة؟ لا، لم تخطر الفكرة ببالي».

ثم أضاف: «لكن لا تقلقي، فأنا أتقبل الرفض».

عضت لسانها لتمنع نفسها من التفكير بأنها استثناء عن القاعدة. بالرغم من هذا، فكرت أنها زوجة ماثيو، وها هي الآن تبدو امرأة مشاكسة كثيرة الاعتراض.

شرح ماثيو للنساء اللواتي كن يجاهدن ليلتقطن كل مقطع من هذا الحديث السريع كالبرق: «روز... تحاول إصلاحي».

كررت ساشا، وخصل شعرها المجعدة تموج بجاذبية، وهي تدير رأسها بسرعة منقلة نظرها بينهما: «تحاول إصلاحك؟!».

استطاعت روز أن ترى حيرة الفتاة، وكأن المسكينة لم تستوعب ما يدعو إلى هذا الإصلاح في رجل يبدو مثالياً.

شرح ماثيو لها: «طموحها هو أن تحوّلني إلى رجل عصري».

احمرّ خدّا ساشا، وأخفضت بصرها حين وجه ماثيو ابتسامته الساخرة إليها. أما أمها فلم تتمكن من لجم لسانها. كررت هيلينا كونستانتين، رافعة حاجبيها المخططين بفن فيما ابتسمت ساخرة: «رجل عصري؟!».

وأضافت: «بغض النظر عما يقال.. النساء يفضلن الرجال الأقوياء

لا الضعفاء».

من خلال نظراتها المليئة بالاعجاب، لم يكن من الصعب معرفة الشخص الذي عنته.

قلّبت روز عينيها وعلقت: «بربك! وكأنه يحتاج إلى تشجيع».

أطبقت المرأة المسنة شفتيها القرمزيتي اللون كرد فعل على عبارة روز، ثم نظرت إلى ماثيو وبدت على وجهها خيبة الأمل حين رأت أنه لا يشعر بالسخط بل بالتسلية. قالت بصراحة: «على الرجل أن يقود، وعلى المرأة أن تتبعه».

علقت روز وقد أعجبها أن تجد نفسها وللمرة الأولى تأخذ دور الأنثى القوية: «ليس هذه المرأة، لست من النوع الذي يتبع».

قال ماثيو، وهو ينظر مباشرة نحوها بتعبير لا يناسب إلا غرفة النوم: «لحسن الحظ، أنني أفضل النساء الرائعات الجمال على الذكيات منهن».

أجبرت روز نفسها على ألا تبعد نظرها عن ماثيو بالرغم من أن معدتها كانت تهتاج بمزيج متقلب من الإثارة والخوف، وقالت: «بالنسبة إلى تحويلك إلى رجل عصري... فأنا واقعية جداً».

وكامرأة واقعية، عرفت أنه يمثل دوراً، فهو لا يرغب حقاً بأن يغازلها أو يقيم معها علاقة حميمة. آه! نعم روز، احتفظي بهذه الفكرة في رأسك. ستساعدك حقاً كي تظلي هادئة ومسيطرة على نفسك.

- ماذا لو...؟

البريق الذي ظهر في عينيه أخبرها أنه على وشك أن يقول شيئاً يجعلها ترغب بأن تلتف على نفسها وتموت من شدة الخجل.

لسوء الحظ، اتضح أن قراءتها لذلك البريق صحيحة.

- يمكننا إبقاء باب غرفة النوم مقفلاً وسأترك لك الحرية في مراقبته.

تمنت روز فكرة أن تفتح أمام قدميها حفرة عميقة داكنة لتختفي فيها،

فهي لم تشعر قط بالخجل في حياتها كلّها كما شعرت في تلك اللحظة. رمقت ماثيو بنظرة افتتان، استجاب لها بابتسامة لطيفة دافئة. بعدئذٍ أخفضت بصرها، وتثاءبت بصوت ملفت قبل أن تقر أنها متعبة فعلاً. لم تنظر روز إلى عيني أحد وهي تتمنّى للضيوف على نحو مستعجل ليلة سعيدة، وما لبثت أن توجهت إلى الباب الأقرب.

www.elromancia.com

٩ - خيار مثالي

مشت روز مئتي ياردة قبل أن يلحق بها ماثيو. قال بنبرة ملؤها الرضى: «حسناً! أظن أنَّ الأمور سارت بشكل جيد. ألا تظنين هذا؟».

توقفت روز تماماً واستدارت لتواجهه.

- لا أظن أنها سارت بشكل جيّد. أظنها كانت كابوساً حقيقياً، وكذلك أنت.

انخفضت رموش ماثيو لتخفي عينيه جزئياً، لكن ليس قبل أن تلتقط روز اللهو الخبيث الذي يتراقص في أعماقهما. وسألها: «هل قلت شيئاً أغضبك؟».

ذلك التصرف البريء جعل روز تصر بأسنانها، سألته: «ما الذي جعلك تظن هذا الآن؟».

ساد صمت مروّع قبل أن تنفجر ضحكة ماثيو الدافئة. ويقول معترفاً: «أقر بأنني أعاني من رؤيتك الشريكة الأقوى في العلاقة السادية الماسوشية».

اتّسعت ابتسامته الساخرة حين رفعت روز يديها إلى خديها الملتهبين. شعرت بضيق قوي في نفسها، وردّت عليه: «اخرس!».

نصحها ماثيو: «اهدئي! أتخيل أنهم يفكرون ببساطة أننا نتمتع بعلاقة حميمة صحيّة».

سألته روز: «هل تظن أن هذا يشعرني بالتحسن؟».

ثم تابعت مؤنبة: «ربما تحب أنت مناقشة شؤون حياتك الخاصة مع

أيٍّ كان، لكني أفضل أن تبقى حياتي بمنأى عن الآخرين».

- لا أستطيع أن أكون بعيداً عن حياتك الخاصة. من هو حبيبك، روز؟

زاد احمرار البقعتين البراقتين على خدي روز لتصبحا بلون القرنفل الأحمر.

واعترفت من دون تفكير: «لا حبيب لدي. لم يكن لدي قط...».

أصغت روز إلى ماثيو وهو يضحك بنعومة على الفكرة، فيما أطبقت أسنانها على بعضها بقوة، وقالت له: «أصبحت تعرف الآن سرّي الصغير».

- لا تقلقي! لم آخذ كلامك على محمل الجد.

- لكنني أتكلم بجدية.. بجدية تامة.

واجهت روز صعوبة في الحفاظ على رابطة جأشها في وجه نظرته الثابتة، لكنها بالكاد استطاعت ذلك. وقالت له: «اسمع ماثيو، أنت لا تدفع لي الكثير».

التوت شفته العليا وأجابها: «كم تريدين؟ ربما أنا مستعد للدفع».

انتفض شيء ما في داخلها، وجاء رد فعلها انعكاساً لا إرادياً بحتاً، بحيث رفعت يدها لتصفعه على خده. إلا أنها لم تتوقع مطلقاً أن يتحرك ماثيو بسرعة ليمسك بيدها ويلصقها بجانب وجهه.

- آه! إلهي! أنا آسفة.

انهمرت الدموع بغزارة من عينيها فيما رأته يفرك يدها على بقعة من خدّه. ما لبثت أن أضافت: «لا، أنا لست آسفة، فأنت تستحق هذا».

أنزل ماثيو يدها، وقال: «نعم، أستحق هذا. إنه خطأ لا يُغتفر، وأنا آسف».

اضمحل الغضب من وجه روز، وسألته: «أحقاً؟».

هزّ ماثيو رأسه، وأجاب: «ما سأقوله ليس عذراً، لكنني ساخط إلى

أقصى الحدود».

وضع يداً على الحائط بجانب رأس روز واتكأ عليها، وعيناه الجذابتان الداكنان تنجرفان ببطء على وجهها.

انقبض صدر روز، حتى إنها بالكاد استطاعت أن تأخذ أنفاسها، فيما تصارعت في داخلها غريزتان متضارتتان. راحت المنطقة العاقلة في رأسها تحثها على التراجع، والمنطقة الأخرى تحثها على الانحناء نحوه. على أي حال، لم تستطع التراجع لأنه ما من مكان آخر تذهب إليه. كان ظهرها ملاصقاً تماماً للحائط.

تأوهت روز، وهي تدير رأسها بعيداً عن الإصبع الذي مرّره على خدها الناعم: «ماثيو... أنتَ... هذا...».

ابتلعت ريقها، وغدت نظرات عينيها ضبابية. كان ماثيو على وشك أن يعانقها حين ارتفعت الأصوات المختلفة في ضحكات قادمة من الرواق.

ما الذي دهاها؟ أطلقت صرخة قصيرة حادة بسبب رعبها، وتملّصت من ذراع ماثيو الضاغطة، وأخذت تمشي بسرعة، راجية من الله ألا ترتخي ركبتاها وتسقط أرضاً.

راقبها ماثيو وصدره يرتفع وينخفض في انسجام مع وتيرة تنفسه السريعة. يستطيع تخيل بعض النساء وهن يتمايلن بتكلف في محاولاتهن للفت أنظار الرجال لكن روز ليست كذلك، لم يكن هناك أي أثر للتكلف أو للمكر في مشيتها.

إنه أمر لا يصدق بالنسبة لماثيو، إلا أن روز تجهل تماماً أنها تجسد المثال الأنثوي الأكثر روعة بالنسبة للجنس الآخر، ذلك النوع من النساء الذي يتمنى الرجال أن يستفيقوا بقربه في الصباح.

لكن روز بدت كتلة من التناقضات. وجدها في تلك الليلة مرتمية على سريره، والآن يحمر خداها خجلاً كمراهقة غير خبيرة إذا ما تحول

الحديث بينهما إلى نقطة حميمة جداً.

أظهرت روز له وجهاً بارداً، وادّعت أنها لا تهتم به، لكن ماثيو عرف أنها تكذب. عرف أنها تشعر بجيشان التوتر الحسي بينهما بنفس القوة التي يشعر هو بها. رأى عينيها تتمددان فتصبحان بركتين سوداوين، وشعر بجسدها يرتجف حين التقت أصابعهما بالصدفة، كذلك شعر بالحرارة تحت مظهرها البارد ذاك.

لا شك أن حبيبها السابق أحمق، فجرّاء إهانته فقدت روز ثقتها بنفسها، وحاولت أن تستعيدها من خلال إقامة علاقة عرضية مع غريب محض... معه. هل كان رفضه لها تلك الليلة الدافع الذي جعلها تتراجع؟

ناداها ماثيو بصوت مرتفع قائلاً لها: «ألم تقرأي تفاصيل العقد روز؟ لا وقت للراحة، ولا حتى للتصرفات الحسنة. لنواجه الأمر.. أنت لم تتصرفي بطريقة جيدة هناك».

التفتت إلى الخلف، واتسعت عيناها حين رأته واقفاً بجانبها تقريباً. قالت له: «لم يُذكر قط أنني سوف أقيم علاقة حميمة معك، وليس هناك أية إشارة إلى ذلك، أو حتى أي تفصيل بهذا الشأن. أنت تختلق القوانين بحسب أهوائك».

تاقت لأن تمسح تلك الابتسامة الساخرة عن وجه ماثيو.

- أتعلم ما أفكر به؟

- أرتعد من التوقع.

كانت هي ترتعد أيضاً، هذا ما أدركته روز، وهي تلاحظ بعبوس خائف هذا التطور الجديد.

- أعتقد أن الأمور تجري حسب خطتك. أنت لا تريد أن يوافق أبوك على عروسك.

- نظرية مثيرة. لِمَ أريد أن يرفض أبي زوجتي؟

- لأنك تستمتع بلذة سادية حين تقوم بعكس ما يريدك أن تفعله.

لم يكن لروز أدنى فكرة عمّا كانت ستقوله، لكنها عرفت من خلال حدسها أن ما قالته كان صحيحاً.

- إن أبي...

- آه، هو سيء بقدرك تماماً. أستطيع رؤية هذا، وأنا حقاً لست مهتمة بمعرفة تفاصيل علاقتكما.

سماع ماثيو للحديث عن علاقته بأبيه جعله يصمت في ذهول.

قضمت روز شفتها المرتجفة، وتنحنحت، ثم أضافت بصوت جاف: «اخترتني لأنك عرفت أنني لا أناسبك».

آه! لماذا آلمتها هذه الحقيقة كثيراً؟

هز ماثيو رأسه يميناً وشمالاً، ومدّ يده نحوها. تراجعت روز وقد بدت عيناها واسعتين وحذرتين. بدت نظراته جامدة كالصوان وهو يقول لها رافضاً أن يعتبر الأمر جدياً: «أنا لم أخترك. كان هذا اتفاقاً ذا فائدة لكلينا، بالرغم من أنني أعترف أنه لم يبدُ مناسباً بقدر كبير حتى الآن. تكمن السخرية في أنني اكتشفت أنك الخيار المثالي».

- أتعرف؟ لا شيء في الاتفاق الرسمي موضوع لمصلحة الطرفين معاً. إذا اخترت أن أرحل، لا يمكنك فعل شيء لإيقافي.

- أنتِ تستخفين بدهائي...

رفعت روز ذقنها وقالت: «لكن ليس بفظاظتك وخشونة كلامك».

التقى حاجبا ماثيو في خط داكن، وقال: «هذا ما يقوله معظم الناس عن أبي».

- لم يسبق لأشخاص قبلي أن أجبروا على تمضية القدر نفسه من الوقت برفقتك كما أفعل أنا.

ادّعى ماثيو أنه لم يسمع مقاطعتها، وألقى على وجهها نظرة فضول وسألها: «أبي... أنت لست خائفة منه، أليس كذلك؟».

ومضت في رأس روز صورة رجل الأعمال اليوناني الضخم الكتفين، وأجابته: «لِمَ عليَّ أن أكون خائفة؟».

أما ابنه، فهذا شأن آخر.

أدارت رأسها بقوة، وارتجفت قليلاً فيما التقت عيناها بنظرته الجانبية.

- هو غني وقوي.

- ليس لديه ما أريده أو أحتاج إليه، لِمَ علي أن أخاف منه؟ أما أنت، من جهة أخرى...

- هل تظنين أنني خائف من أبي؟

- أفترض أنك تعتقد أن الخوف علامة ضعف.

- لا، أعتقد أن الخوف يدل على التفكير السليم.

- آه! هلاّ تتوقف عن الظهور وكأنك تسيطر على أحاسيسك؟ جعلت همك محصوراً بعلبة معدنية مجنونة، فيما يدفع الناس المال لشراء البطاقات ويقفون صفوفاً بانتظار أن تشق طريقك إليهم، إنَّ من يختار أن يرتزق بهذه الطريقة...

ضربت روز جهة من رأسها برفق وأكملت: «فيه مسّ من الجنون».

- كنت بارعاً في القيام بذلك.

رفعت روز عينيها في دهشة ساخرة، وقالت: «أتعني أن ثمة أشياء لم تكن بارعاً فيها؟ ظننت أنك لامع في كل شيء، ما عدا...».

أضافت روز بابتسامة ملتوية بشفتيها: «... التعامل بلطف مع أبيك».

- أنا... أتظنين أنه خطأي؟

ظهر على وجه ماثيو الحنق، وأطبق فكّيه.

- حسناً! ربما يقع الخطأ عليكما أنتما الاثنين، أليس كذلك؟ لا تستطيع أن تنكر أنك لا تبذل مجهوداً لتكون لطيفاً. حين تتواجدان معاً،

يعم جو من الغضب.

- هو يظن أن الابن الذي مات هو من كان يجب أن يبقى حياً والعكس صحيح.

ماثيو؟! الرجل الأكثر حيوية بين الذين التقتهم في حياتهم.. يموت؟ هزت روز رأسها في اعتراض صامت عنيف على الفكرة، ثم رأت الأرض تتحرك نحوها.

تنهدت ارتياحاً حين استقر العالم من حولها لكنها لم ترخ قبضتها عن العمود المزخرف الذي تشبثت به.

بالطبع، ندم ماثيو على ما قاله فور خروج الكلمات من شفتيه، إذ بدا كأنه يفتش عن التعاطف والشفقة وهذا أبعد ما يكون عن رغبته. ندم على ما قاله أكثر حين رأى عيني روز ذات اللون الكهرماني ممتلئتين بالشفقة.

شعرت روز برغبة في أن تلفّ ذراعيها حوله وتجذبه نحوها، لكنها عرفت أنه لا يقدّر هذه الحركة، فهذا يعني الاعتراف بأنه شخص مظلوم تماماً.

تساءلت عن السبب الذي يجعل بعض الرجال يواجهون صعوبة في الإفصاح عن مشاعرهم. قالت: «أنا متأكدة من أنه لا يعتقد هذا».

توقفت برهة، وعيناها تجولان على وجه ماثيو الداكن، ثم أكملت: «قال لك ذلك بالفعل. أليس كذلك؟».

تحوّل تعبيرها المهدىء إلى نقمة غاضبة. كيف يمكن لأي رجل أن يقول شيئاً كهذا لابنه؟ تمنت لو أنها تستطيع أن توضح فكرتها للرجل الكبير الأناني.

- كان ألكس عكسي تماماً.

قصد ماثيو بهذا أن يجد سبباً أو عذراً لتصرف أبيه.

سألت روز غاضبة: «لِمَ تركتما ذكرى أخيك تشعركما بالنفور من

بعضكما؟ هي الشيء الوحيد الذي يجمعكما معاً».

وأضافت: «أنتما الاثنان أحببتماه».

هذا ما يقرّب الناس من بعضهم ولا يبعدهم أكثر.

- اسمعي! لم أجلبك إلى هنا لتصالحيني مع أندريوس، لا أدفع لك لتكتبي في عمود الإعلانات الشخصية في الصحيفة.

رأى ماثيو إجفال روز، لكنه قسّى قلبه إزاء الألم الظاهر في عينيها الذهبيتين.

تصلبت روز في مكانها وقالت: «لا تقلق، لن أنسى مكاني مجدداً».

- مكانك ليس في عقلي.

ثبت ماثيو يداً على رأسه وتأوّه بسخط قائلاً: «آه! بحق السماء. لا تنظري إليّ هكذا».

- أين هو مكاني، ماثيو؟ أود أن أعرف فحسب.

جالت عيناه اللاهبتان على وجهها، وأجابها وهو يستدير ليغادر بخطوات واسعة: «اللعنة! في سريري».

* * *

عرفت روز أن ماثيو في الغرفة حتى قبل أن تتّسع فتحتي أنفها استجابة لرائحة جسده العطرة.

- كنت تبكين.

الألم الواضح والعينان المتوهجتان باللون الأحمر وآثار الدموع على خديها جعلت شيئاً ما داخل ماثيو يضطرب. ردّت روز، فيما بقيت نظراتها متجهة إلى الأمواج المتهامسة على الشاطىء المضاء بنور القمر: «أنا أبكي دائماً حين أغضب».

خلف عظام الجهة اليسرى من صدرها راح قلبها ينبض كالعصفور المحجوز.

- هل بكيت لأنك اعتقدتني لن أرجع؟

أتى صوته الدافىء كالعسل من ورائها تماماً. شعرت بالشلل بسبب الضعف الغدّار الذي انتشر في جسدها بأكمله، إلا أنها استطاعت أن تهزّ كتفيها، وتسأله ببرودة: «هل نسيت شيئاً؟».

وفيما أدارت روز رأسها هزّ ماثيو رأسه إيجاباً. أرادت أن ترفع نظرها عنه لكنها لم تستطع أن توقف التحديق به. بدا شعره الداكن اللامع مبعثراً بطريقة مثيرة بالرغم من أنه مرّر أصابعه لتوه فيه، لكن عينيه هما اللتين جعلتا معدتها تذوب، فقد بدتا متوهجتين كالفضة الذائبة.

تنحنحت روز، إلا أن الكلمات ظلت عالقة في حنجرتها.

هبت نسمات ريح نفشت شعره وجعلت روز ترتعش.

أدارت ظهرها باتجاه ماثيو وأغمضت عينيها، وقالت: «إذاً، خذ ما شئت وارحل».

- هذا هو هدفي.

شعرت روز بدفء أنفاسه على عنقها، وسرت رجفة مخدرة على امتداد عمودها الفقري.

- ما الذي تنتظره؟

فتحت عينيها فجأة حين أمسكها ماثيو بعد لحظة من كتفيها وأدارها كي تواجهه. بدت خطوط وجهه مشدودة بالغضب والسخط.

- أنتظر أن تتوقفي عن الادعاء بأن ما يحدث ليس موجوداً.

نظر ماثيو إليها، فيما أرسلت الأشواق الملتهبة في عينيه الرائعتين موجة عنيفة من المشاعر التي تذيب العظام في جسدها.

- لا شيء يحدث، إلا أنني ألتقط البرد وأنا واقفة في هذا التيار الهوائي.

رفع ماثيو يده، ورسم خطاً حول محيط رأسها من دون أن يلمسه، بالرغم من أن أطراف أعصابها استجابت وكأنه قد فعل. لم يكن في

صوته عادة أي نبرة قوية، إلا أنه حين تكلم في تلك اللحظة، بدا صوته مضخّماً: «يبدو شعرك براقاً في هذا الضوء».

ابتلعت روز ريقها وهزت رأسها. إذا استمرا على هذه الوتيرة، فسوف يصلان إلى نقطة اللارجوع من دون أن تسنح لها الفرصة كي تشرح أن ليس هذا ما تريده... بل هو ما تريده لكنه غير مناسب.

- وبشرتك تبدو كضوء القمر، ناعمة جداً... رقيقة جداً.

هذا الصوت الخفيض الخشن الصادر من حنجرته تغلغل في داخلها ببطء، وبالرغم من مكافحتها، لم تستطع أن تحرّر نظرها من عينيه العميقتين المشعتين اللاهبتين وهما تلتهمانها. تذبذبت رعشة داخل جسدها فيما مسّت أطراف أصابعه جانب خدّها مسّاً رفيقاً.

أغمضت روز عينيها وهزت رأسها يميناً ويساراً وهي تحاول بشدة أن تتمسّك بمظهر يوحي بالسيطرة على نفسها وسلامة عقلها، لكن عبثاً...

- لا أعرف لِمَ تحاولين أن تحاربي هذا، نحن لا نستطيع السيطرة على أحاسيسنا، إنه شيء مطبوع في حمضنا النووي.

- هل توهم الكثير من النساء بأن الأمر مجرد تفاعل كيميائي ماثيو؟

اتسمت خطوط وجه ماثيو الواضح المعالم بالغضب، وقال لها: «أنا أقول إن ما نشعر به هو أساسي مثل لون عيوننا. قد لا تحبينه، لكن عليك أن تعيشي معه».

ردّت روز: «لا بد أنه تفسير ملائم لك، لكنني لست مجبرة على العيش معك، وليس عليّ بالتأكيد أن أقيم معك علاقة حميمة».

توهجت عينا ماثيو فيما انحنى بالقرب منها ليهمس في أذنها: «سوف يكون ذلك رائعاً».

أمسكت روز حافة قبة فستانها فيما غزت الحرارة بشرتها، وبقلب ينبض بالتوتر، ابتلعت ريقها وهزت رأسها يميناً ويساراً.

أطلق ماثيو صوتاً أشبه بالدمدمة من صدره فيما هو يمسك ربطة عنقه غير المحكمة الربط ويرميها على الأرض، وقال لها: «هل تحاولين أن تقولي إنك لا تريدين أن تشاركيني السرير؟».

حاجته الملحة ليشعر بها بالقرب منه، ليغمرها بذراعيه ويدفن وجهه في انحناء عنقها، جعلته نافد الصبر. . إن لم تتجاوب روز معه فمن الممكن أن يخسر ما بقي له من رجاحة عقله.

ذبلت كلمات الإنكار على شفتي روز في اللحظة التي برز فيها التحدي القوي في كلماته. ابتلعت ريقها وقوّمت كتفيها.

- إن مجرد رغبتك في شيء ما لا يعني أنه فكرة جيدة.

- لكنك تتوقين إلي كما أتوق إليك تماماً. إذا كنت لا تريديني، اقفلي الباب فحسب.

سحب مفتاحاً من مكان ما، وقدّمه إليها.

التقطت روز شفتها السفلى بين أسنانها فيما راحت تنظر إليه. وبعد لحظة، انطرح المفتاح أرضاً.

- بالكاد تستطيعين الوقوف. أنت ترتجفين بكل ما للكلمة من معنى، ولم ألمسك بعد.

ابتلع ماثيو ريقه وهو يضيف: «ألديك أي فكرة ماذا يفعل بي هذا الإحساس؟ أن أعرف أنك ضعيفة تجاهي؟».

- أنا كذلك.

حدّقت روز في عيني ماثيو، وهي ترى انعكاس صورتها بالإضافة إلى المزيج الملتهب للعواطف التي تظهر فيهما. راح قلبها ينبض باهتياج شديد، وبالكاد استطاعت أن تتنفس فيما رفعت يداً لتلمس البقعة الحمراء على خده الجذاب حيث انتفض عصب. أدار ماثيو رأسه والتقط يدها، ثم جذبها إلى شفتيه.

خرجت من شفتي روز تنهيدة قوية مفاجئة ومقطوعة.

- هل أنت بخير؟

قالت روز، وهي تطمر رأسها بين زاوية ذقنه وكتفه: «أشعر بالذهول».

- حسناً! يا روز المذهولة، أظن أنه علينا أن نأخذ هذا النقاش إلى غرفة النوم.

وضع يده الأخرى حول خصرها وسحبها إلى مستوى أعلى وإلى درجة أقرب منه.

لم تشعر روز قط من قبل بمثل هذا الاندفاع وتلك المشاعر تجاه أي رجل من قبل. لكن شعورها تجاه ماثيو ديمتريوس، ومنذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناها عليه بدا مختلفاً.

أدركت بإحساس من الراحة أنها تخطت حدود الخوف والتفحص المعقّد لأحاسيسها ومحاولة فهمها. حتى لو كان هذا أسوأ قرار تتخذه في حياتها، فإنها ستتّخذه حتى لو بقيت طوال حياتها نادمة عليه. إنها تتوق إلى ماثيو كثيراً، وبدا ذلك أهم من التنفّس، بل إنه بمثل أهمية بقائها على قيد الحياة.

لأول مرة في حياتها، فهمت روز المعنى الحقيقي للشغف الذي تملكها كلياً. لقد التقت حب حياتها، وحتى لو لم تستطع أن تمضي بقية أيامها معه، فإنها مصممة على الاستمتاع بكل لحظة تمر بها.

- أنت تعرفين كم أريدك.

همست روز بصوت أجش كان على ماثيو أن يجاهد ليسمعه: «قُل لي».

- لطالما تخيلتك مرتمية على سريري وشعرك مبعثر على الملاءة الحريرية. . . منذ اليوم الذي التقيتك فيه.

آه! هل يتخيلها واحدة من العاشقات الخبيرات؟ بدأت الأحاسيس المتزعزعة تجتاحها. عليها أن تقول له حقاً منذ البداية إنها ليست

خبيرة... إنها المرة الأولى...

- ما الخطب؟

- أنت تقول هذا الآن، لكن..

- اخرسي!

قربها منه وعانقها فلم يكن لديها خيار آخر. على أي حال بعد مضى ثانيتين فقط، نسيت روز ما كانت تريد قوله. وبعد ثانية أخرى، نسيت اسمها نفسه.

حملها ماثيو عبر الغرفة إلى السرير، وعيناه مثبتتان عليها.

جلست روز ومدّت ذراعيها نحوه، فلم يستطع ماثيو مقاومة الدعوة التي ظهرت في عينيها الذهبيتين الرائعتين لحظة أخرى، فانحنى وجلس بجانبها على السرير.

فكرة واحدة سيطرت على ذهنها: أحبّك... آه! إلهي! أحبك.

تراجعت قليلاً ونظرت إليه، فابتسم ابتسامة بطيئة أشعرتها كأن قبضة تشتد في أعماق أحشائها...

- أنت جميلة، يا حبيبتي.

اجتاحت جسدها حرارة ملتهبة، وهمست تسأله، وهي تجبر الكلمات على الخروج من حنجرتها المفعمة بالعاطفة المؤلمة: «أبهذه الطريقة بدوت في تخيلاتك؟».

ابتسم ماثيو ابتسامة عنيفة أثارتها في أعماقها. وقال: «أنتِ تخيلاتي الجامحة، يا صغيرتي».

بقي تأوه حاد عالقاً في حنجرة روز فيما تحركت يده لتعبث بخصلات شعرها. فكرت روز، لا شيء يمكن أن يكون أفضل من هذا، وكانت مخطئة...

أخذ رأسها يدور ممتلئاً بخدر ممتع لم تشعر به من قبل، حين حملها ماثيو إلى عالم من الانسجام والاتحاد لم تزره يوماً حتى في أحلامها.

١٠ - عذراء

فيما كان ماثيو وروز ممددين على السرير، ابتسمت روز ومرّرت يداً على ظهر ماثيو.

- أنا الرجل الأول الذي عاشرته.

شعرت روز بأولى علامات الانزعاج ترشح إلى نعيمها. فتحت عينيها لتنظر إليه من خلال حجاب رموشها.

رفعت يداً إلى خدّها وتذوقت طعم دموعها المالحة. لم تكن واعية إلى بكائها، وأجابته: «نعم، أنت أول... وهل يهم الأمر؟».

نظر ماثيو إليها في اندهاش، وكرر مصدوماً: «هل يهم الأمر؟».

وأضاف: «كنت عذراء».

قالت روز في محاولة للتخفيف عنه: «أعتقد حقاً أنك تعطي لهذا الأمر أهمية أكثر مما يستحق».

أجابها من بين أسنان مطبقة: «كل كلمة تقولينها... تزيد الأمر سوءاً».

- حسناً! لن أقول شيئاً.

شعرت روز برفضه كالألم الجسدي في صدرها، فعلا الشحوب وجهها. شعرت بالبرد يغزو عظامها، وأخذت ترتعش.

وجدت روز علاقتهما رائعة، ولم يرد في ذهنها أن ماثيو سوف يتذمر لأنها ما زالت عذراء، أتراه وجد أنها عديمة الخبرة؟

سحب ماثيو يداً على عينيه وتأوه: «يا إلهي، ما الذي فعلته؟».

www.elromancia.com

- أتريدني أن أشرح لك؟ ظننتُ أنني أنا العديمة الخبرة.

أدار ماثيو رأسه والغضب يلتهب في عينيه. لم تره روز بمثل هذا الغضب من قبل، وقال لها: «لا أظن أن هذه هي اللحظة المناسبة لتمازحيني».

علقت الضحكة الجافة في حنجرة روز.

- صدقني لست أمازحك، إذا كنت تتوقع أن أعتذر منك بسبب عدم خبرتي، فانسَ الموضوع.

قال لها بحدّة: «عليك أن تشرحي لي بعض الأشياء».

ردّت روز، وهي تقوّم جلستها: «لا!».

لفت جسمها بالغطاء جيداً، وأنزلت رجليها عن حافة السرير، ما جعل ظهرها مقابلاً لماثيو تماماً.

- لم تكن المرأة التي وجدتها على سريري في موناكو عذراء.

رجع ماثيو بأفكاره إلى مشهد الإغواء القديم، فيما قطب حاجبيه الداكنين في خط مستقيم وهز رأسه يميناً ويساراً مقتنعاً بالأمر وقال: «بالطبع لا!».

- كيف لك أن تعرف؟ ظننت أنك رميتها عن سريرك.

أطلقت روز صرخة اعتراض طويلة وحادّة حين طوقت يد ماثيو، ومن دون إنذار، محيط خصرها. تمسكت بشدة بالغطاء، فيما ارتمت على ظهرها على حضن ماثيو، ونظرات عينيها موجهة إلى وجهه الجذاب.

- الرجل يعرف هذه الأشياء.

ذكرته روز: «لم تعرف هذه الأشياء عني».

انتفض عصب في فك ماثيو وقال: «أنا منتظر، روز».

قالت له بصوت أجش، وصدرها يرتفع بتناغم مع الأنفاس اللاهثة السريعة التي تركت شفتيها للتو: «لا أدين لك بشيء، ولا حتى بشرح

ما».

نضال روز الغاضب جعل ماثيو يحدّق فيها قائلاً بمشاعر جيّاشة: «كنتِ عذراء».

- هلاّ تتوقف عن قول هذا؟ وكأنني أنا التي خطّطت لأن أكون عذراء في عمر السادسة والعشرين. أردت فحسب أن أتأكد...

توقفت روز، مدركة المعنى الضمني لكلماتها، ثم لطّفت الجو حين أضافت: «... أفترض أنني مللت من الانتظار».

- وكنت أنا موجوداً حينها، تعرفين كيف تجعلين الرجل يشعر أنه مميَّز، يا حبيبتي.

ردّت روز بنزق: «توقف عن مناداتي هكذا».

آلمها أن ماثيو كان ليفضل المرأة الخطرة الجذابة الذي اتضح أنها ليست روز. إنه يفضل ريبيكا، ما يجعله غير مختلف عن أي رجل آخر.

وتابعت تقول: «بحق السماء! يكفي أنك تشعرني كأنني علاقة عابرة رخيصة، أعليك أن تزيد الأمر سوءاً وتشعرني أنني امرأة لا نفع لها في السرير؟ لو عرفت أنك لا تعاشر إلا نساء يحملن شهادات عالية في إقامة العلاقات الحميمة، لكنت...».

- لا يتعلق الأمر بخبرتك في السرير.

نظر ماثيو إليها نظرة ملؤها الشك. النساء اللواتي أقام علاقات معهن كن أنانيات مثله، عرف معهن ما يشعرن تجاهه. ما أغاظ ماثيو أن روز استطاعت أن تتصرف وكأن ما أعطته إياه ليس مهماً. أما هي فآخر شيء أرادته هو أن يشتبه ماثيو أنها باتت تشعر أنها محطمة كلياً. أشارت من دون أن تنظر إلى مكان محدد: «آه! بحق السماء! هلاّ توقفنا عن التكلم بالموضوع، واتفقنا على أنها... كانت غلطة؟».

ويا لها من غلطة! التوت شفتاها الناعمتان في ابتسامة ملتوية مريرة فيما أضافت: «لست المرأة التي أردتها. لست المرأة التي رأيتها في

غرفتك في الفندق».

– لم أرد تلك المرأة ولم أرغب بها... أنت...

تجعّد جبينه فيما راح يحاول أن يحلّ الأحجية التي قدمت إليه.

وتابع: «أنتما متماثلتان... حتى صوتاكما...».

امرأة يتوق إليها وأخرى تركها ترحل وهو غير متأثر بها. توقف ماثيو تماماً، وفي عينيه شرارة من الفهم المجفل وقال لها: «هناك اثنتان منكما... توأمان؟».

تفادت روز نظرة ماثيو الغاضبة، وأخذت تثني الغطاء بين أصابعها.

همهم ماثيو شيئاً بالفرنسية بصوت خفيض، وأدارها بيد واحدة لتواجهه، مرجعاً خصل الشعر التي غطت وجهها باليد الأخرى. بقيت يده هناك تحيط بوجهها، فيما أمرها وهي تميل بذقنها نحوه: «انظري إلي!».

سألها: «تلك المرأة في موناكو شقيقتك... شقيقتك التوأم. أليس كذلك، روز؟».

هزت روز رأسها إيجاباً. ما الفائدة من نكران الأمر؟

زفر ماثيو نفسه في تنهيدة طويلة خرجت على شكل صفير.

– وهي التي تم التخلي عنها في المذبح.

جالت عينا ماثيو على وجه روز، فهزت روز رأسها إلى الأسفل قليلاً. أضاف وصوته وتصرفاته تزداد عصبية: «هي التي بدأت تتصرف بطريقة غير مقبولة».

– هي متزوجة الآن من رجل لطيف جداً.

– وهل تعرفين هذا من تجربتك الشخصية أيضاً؟

هزت روز رأسها يميناً ويساراً في حيرة وقالت: «أنا لا أفهم».

– حسناً! يبدو أنكما تتشاركان معظم الأشياء.

طافت على وجهها موجة من الغضب حين فهمت تلميحه. وقالت:

«يا لتفكيرك القذر! تعرف هذا، أليس كذلك؟».

قال وهو ينظر إليها بكآبة: «لا أعرف شيئاً عنك».

وأضاف: «لست الشخص الذي ظننتك إياه».

كرّرت روز، وفقاعات الغضب تثور في داخلها: «الشخص الذي ظننتني إياه؟».

من المفترض أن تبقى هذه ذكرى لحظة رائعة تتذكرها لسنوات عدّة، وقد أفسد ماثيو كل شيء. سألته: «كيف يمكنك أن تكون منافقاً على هذا النحو؟».

– لقد خدعتني، ويتضح الآن أنها غلطتي أنا؟

صرخت روز: «كررت لك مراراً إلى أن بُحّ صوتي أنني لم ألتقِ بك قط، ولا أرى أين المشكلة. هل تريد أن تعرف تاريخ الفتاة قبل أن تقيم معها علاقة حميمة؟ أنت منافق كبير.. قبل خمس دقائق، لم تكن مهتماً بشخصي على الإطلاق، لم تهتم سوى بجسدي».

بدا من اتجاه نظرات ماثيو أن هذا الأمر لا يزال صحيحاً.

– أفترض أنني تعبت من انتظار الرجل المثالي، أرأيت؟ ظننت أنني أغرمت بأحدهم، لكن تبين لي أنه متزوج. ظننته شريفاً لكنه كان يستغلني فحسب...

ضحكت روز ضحكة مرتجفة فيما انزلقت نظراتها إلى أغطية السرير المبعثرة، والتي ما زالت دافئة. وتابعت: «قد تكون هذه الفكرة جنونية، لكنني ظننت أن من الجيد إقامة علاقة مع رجل لا أهتم لأمره».

– إذاً تعاملت مع هذا الأمر كتجربة علمية؟

هتفت روز: «حبّاً بالله! أقر بأنني كنت فضولية لاكتشاف ما يتكلم الجميع عنه. ما أحاول قوله هو إنني لست حقاً في الموقع المناسب لأحكم على دوافعك».

من الواضح أن ماثيو لم يشعر بالاقتناع مثلها: «لستِ الشخص الذي

ظنتك إيّاه».

- هل تسمع نفسك؟ لستُ الشخص الذي ظننتني إياه... وكأنك ستعرف الفرق.

أطلقت روز ضحكة صغيرة بصعوبة، وسألته: «لا تعرف الشخص الذي كنتُ عليه... لم تعرف شيئاً عني... ماذا تستطيع أن تعرف عن الشخص الذي أنا عليه الآن؟».

وأضافت، ضاغطة يدها على صدرها اللاهث: «لم تقم علاقة معي لأنك أحببت ما أنا عليه، أو لأنك حسبتني شخصاً آخر، أو لأنني الشخص الذي لطالما فتشت عنه طوال حياتك. أقمت علاقة معي لأنني موجودة ومتوفّرة، ولأنك ظننت أن دفاعي ضعيف، حسناً! يمكنك الاسترخاء الآن».

لم يبدُ أن نصيحتها أعطت أي تأثير فوري مهدىء، إذ ظهر ماثيو على وشك الانفجار من داخله.

- حسناً! سأرحل من هنا فوراً ما إن أجد سيارة منطلقة.

مشكلة الجزر هي أنك لا تستطيع مغادرتها بمثل تلك السهولة.

سحبت روز الملاءات عن السرير والتفّت بها، ثم وقفت ومشت نحو المرحاض.

بعد أن أوصدت الباب من الداخل، انزلقت على الحائط إلى الأرض الباردة الرخامية، وأجهشت بالبكاء حتى لم تبقَ في مقلتيها دمعة واحدة.

لم تعرف ما إذا كانت ستفتح الباب لو طلب منها ماثيو ذلك، لكن تصميمها لم يُختبر مطلقاً، لأن ماثيو لم يطرق الباب، وحين زحفت إلى الخارج في ساعات الصباح الأولى، كان الجناح فارغاً.

بعد قليل غادرت الجزيرة بالمروحية من دون أن تنظر إلى الوراء مطلقاً.

١١ - يا حلوتي، يا ملاكي!

- أهذه أول صورة صوتية لك؟

هزت روز رأسها إيجاباً فيما أرخت جسمها. كانت تشعر بمزيج مضطرب من الإثارة والرعب. ربما بدا عليها الرعب لأن المرأة بالرداء الأبيض شرحت بأسلوب مهدىء: «ألغينا الموعد الذي يلي موعدك. يمكنني انتظار الأب ليصل إذا أحببت؟».

ابتلعت روز ريقها فيما غمرت عينيها دموع واهنة. كافحت كي تستعيد رباطة جأشها، وقالت: «لا، لن يأتي... هو...».

- إنه هُنا تماماً.

أدارت روز رأسها بتعبير مصدوم خال من العاطفة والفهم. جمّدت الصدمة قدراتها الذهنية فيما حدّقت بعدم تصديق إلى القامة الطويلة التي تسدّ الباب.

أتراها جنّت تماماً؟ هل تنتابها الوساوس؟

اشتبكت عيناها بعينين فضيتين كالبلاتين، وتسارع اللون إلى وجهها في اللحظة التي أخذ ذهنها يعمل بسرعة. هذه ليست هلوسة... إنه حقيقي. دار في رأس روز مئة سؤال وسؤال. اتخذت الخيار الحذر وسألت مشككة: «ماذا تفعل هنا، ماثيو؟».

ارتفع حاجبا ماثيو وأجاب: «أين يمكن لرجل أن يكون حين تخضع زوجته لأول صورة صوتية للحمل؟».

- ألست في أميركا؟

www.elromancia.com

أخذت نفساً عميقاً ليساعدها على تحمل الوضع، وهي تقنع نفسها بقدرتها على القيام بهذا. في الواقع، لم يكن بمقدورها إلا التحديق في عيني ماثيو، والخوف ينهشها من أن يختفي إذا ما طرفت عينيها.

- أميركا؟ كلا كما ترين... أنا هُنا.

في تلك اللحظة دوّى صوت جهاز الاتصال الذي كسر الصمت السائد في الغرفة، فوضعت أخصائية التصوير الصوتي يدها في جيب ردائها الأبيض، وقالت: «أنا آسفة، يجب أن أجري هذه المكالمة... لن أتأخر».

رفعت روز جسمها لتستوي في جلستها، وراقبت المرأة تذهب بعيداً.

- لا أظن حقاً أن تواجدك هنا فكرة سديدة، ماثيو.

ابتسمت روز قليلاً ولمست معدتها ثم أضافت: «أنا حامل، ويبدو أنك تعرف هذا. كانت مفاجأة فعلاً».

ضحك ماثيو ضحكة جافّة، ومرّر يداً غير ثابتة تماماً في شعره الداكن، ثم أجاب: «لي أيضاً، روز. تعرفين أنك لا تستطيعين القيام بهذا وحدك».

امرأته تنجب مولوداً وحدها، وتستحوذ على طفله وحدها! انتفخ صدر ماثيو فيما راح يجاهد ليسيطر على مشاعره. لا يمكن لهذا أن يحدث، ليس وفي صدره نبض واحد. إذا لم تكن روز تحبه، سيجعلها تفعل... وإذا لزم الأمر سيتغير هو.

- يا إلهي! لا، أنا لا أعرف شيئاً عن هذه الأمور، لكن الموظفين هنا رائعون جداً، وسأتعامل مع القابلة نفسها إلى حين ولادتي، وأبقى على اتصال...

كبت ماثيو همهمة غضب. لو أن روز تتصرف بعدائية، لسهل عليه التعامل مع الأمر، أما أن يتعامل مع هذا التهذيب المتكلف...؟ ردّ

عليها: «أظن أن علاقتنا هي التي يجب التركيز عليها. ألا تظنين هذا، روز؟».

لا تزال روز غير متأكدة كلياً من أن ماثيو هذا ليس من نسج خيالها، لكن حين انحنى إلى الأمام، لم يكن من شيء خيالي بالنسبة للشفتين اللتين لامستا جبينها لمساً خفيفاً قبل أن يضمها إليه معانقاً.

- ليست بيننا علاقة، ماثيو.

وقف ماثيو، ويداه تستريحان على جانبي وجهها، وقال لها: «لكن لدينا طفل».

ردّت روز بسرعة: «حسناً، لكن ألم تجدني مرة مثيرة للاشمئزاز كثيراً؟».

شعّ في عيني ماثيو بريق اللهو ثم اضمحل، وحلت محله حرارة متوهّجة. اشتعل الشوق في عينيه وهما تجولان على وجهها. قال لها: «أنت المرأة الأكثر جاذبية التي عرفتها في حياتي، روز».

أشاحت ببصرها بعيداً عن الدفء المتدفق من عيني ماثيو، ثم أذعنت بارتجاف: «لو أنك وجدتني مثيرة للاشمئزاز، أفترض أننا لما كنا هنا الآن».

وأضافت على عجل: «حسناً! أنت لم تجبرني على أي شيء، أليس كذلك؟ ونحن لم نقصد...».

علق ماثيو بهدوء: «لكن هذه الأمور تحصل».

ثم تابع بنبرة مطمئنة: «لست غاضباً بسبب حملك. روز، إذا كان هذا ما تعتقدينه».

اتهمته بصوت مرتجف: «كلا، أنت مستسلم للأمر الواقع».

مستسلم بما يكفي ليطلب منها أن تبقى زوجته طوال العمر، فهل تراها توافقه في تفكيره هذا؟

- أعرف روز أنك لم تقومي بعلاقة مع رجل آخر غيري، ليس من

طبيعتك أن تقبلي بعلاقة عابرة. العلاقة العاطفية ليست فعلاً ميكانيكياً بالنسبة لك، كما أنك لا تريدين رجلاً آخر. . . تريدينني أنا فحسب.

هذا العرض من الغطرسة الرجولية أخرج ضحكة جافة من حنجرة روز المتألمة، وسألته: «هل تعلم كيف يبدو هذا؟».

- يبدو حقيقياً.

رفعت روز نظرها إلى ماثيو: «أنت تظن أنك أفسدتني وسأبقى طوال حياتي أقارن كل الرجال بك».

حسناً! لم يفكّر بهذا مسبقاً، لكنه يفكر به الآن من دون شك. عمل رائع، روز!

- ليس عليك فعل هذا، سأكون هنا دائماً.

مرّر ماثيو إصبعاً من أعلى خد روز إلى أسفله، فانتفضت بقوة شاعرة بوخز في بشرتها وبألم في قلبها.

- بالطبع. . . ستكون.

يعرف كلاهما السبب، فكرت روز بفتور. لطالما قدرت أن هذا سيحدث حين يعرف ماثيو عن الطفل. سوف يفعل كل ما يقوى عليه ليمنع طفله من النشوء من دون أب كما نشأ هو. من الواضح أن ماثيو مستعد ليفعل كل ما يتطلّب الأمر لينجح هذا. إنه مستعد حتى ليحب روز. ومضة من الكرب القوي بانت على وجهها حين خطرت ببالها تلك الفكرة.

أطبقت فكها، وأخذت نفساً عميقاً داعماً لها. طفلها يستحق أفضل من هذا، أفضل بكثير من أم محتاجة بطريقة مثيرة للشفقة لحب رجل لا يبادلها المشاعر التي تكنها له.

- لا أستطيع انتظار رؤيتك تزدادين جاذبية ولطافة وأنت تحملين طفلنا.

مرّر ماثيو يديه على امتداد ذراعي روز العاريتين فارتعدت، قال لها:

«سنفعل هذا معاً، يا حلوتي».

إنه يُسمعك ما ترغبين بأن تسمعيه. ذكرت روز نفسها بذلك.

- كيف عرفت حتى أن هناك طفلاً؟

تجعّد جبين روز، كان ينبغي أن يكون هذا سؤالها الأوّل.

- أتقصدين أنه كان سرّاً؟

ارتفع حاجبا ماثيو في شك ساخر، لكن خلف الابتسامة الساخرة التهكمية التي لوّت شفته، رأت روز الغضب يلتهب على وجهه.

- لم أخبر أحداً. بالكاد اعتدت على الفكرة أنا بنفسي.

شعرت روز بالغيظ لسماعها نبرة الاعتذار في صوتها.

فكّر ماثيو قليلاً ثم قال: «بحسب قول أختك، علمت بالأمر منذ مدة تكفي لأن تقرري إن كنت تريدينني في حياتك من جديد أم لا».

وتابع: «هذا ما قالته تقريباً، مرفقة كلامها بشتيمة ضخمة».

هبط فك روز وقالت: «هل جاءت ريبيكا لتراك؟ لكنها تعيش مع نك في نيويورك».

- كنت أنا نفسي في نيويورك في الشهرين الماضيين روز.

دفنت روز وجهها في يديها، وتأوهت ثم قالت: «آه، إلهي! سأقتلها. . . لقد وعدتني».

- ذكرت شيئاً من هذا القبيل، لكنها شعرت أن الحالة تستحق القليل من المخاطرة، وأظنها على حق نظراً للظروف الراهنة. متى بالضبط كنت تنوين أن تخبريني عن سرّك هذا، أم أنك لم تخططي بالأصل لأن تفعلي؟

أطبق ماثيو فكيه، وكافح كي يسيطر على غضبه.

- اسمع! كنت لأخبرك أولاً، لكن ريبيكا هي أختي التوأم و. . . عرفت فحسب.

علاقة التوأمين ببعضهما يصعب شرحها قليلاً لشخص لم يختبرها

شخصياً. أضافت روز: «لا بدّ أنها كانت صدمة نوعاً ما».

- لم أتلق الخبر مباشرة من أختك. اتصل أندريوس بي ليخبرني أنك حامل.

في اللحظة التي أدركت فيها روز معنى كلمات ماثيو، اختفى اللون من وجهها. سألته: «أبوك؟».

هزّ ماثيو رأسه بالإيجاب، وقال: «من الواضح أن ريبيكا قصدت الفندق بحثاً عن شخص من عائلة ديمتريوس لتؤنبه، والتقت بالشخص الخاطىء. وصلت إلى الفندق المنشود في اللحظة التي كنت أغادر فيها لأسافر إلى هنا. و... أظن أنني أغضبتها».

رمقته روز بنظرة فضولية وتساءلت: «كيف أغضبتها؟».

- أردت أن ألحق بطائرتي والوقت تأخر، وأختك تتكلم كثيراً. لذا كان علي أن أنهي الحديث في وقت ما.

- لا تقل إنك رميتها خارجاً مجدّداً؟

بالرغم من كل شيء، التوت شفتا روز حين تخيلت الصورة في ذهنها.

- دللتها على الباب فحسب.

وما إن أقفل الباب حتى طرقه أندريوس بقوة. بدا لماثيو حينها أن القدر يتآمر عليه ليفوّت طائرته، لكن بفضل سائق سيارة الأجرة، استطاع ماثيو أن يلحق بطائرته في الموعد المناسب.

وأضاف: «لم يكن الأمر سهلاً».

- لماذا؟

- أصرت أختك على أنني أقمت علاقة معك لأنني ظننتُك...

- ظننتَ أنني هي حقاً.

اجتاحت وجه ماثيو الجذاب موجة من الغيظ فيما أحاط وجهها بيديه الكبيرتين. وقال: «حسناً! هناك شيء واحد مشترك بينكما، أنتما

الاثنتان حمقاوان».

أما الأمر الأكثر حماقة الذي فعله ماثيو في حياته فهو السماح لروز بأن تتركه فجأةً. لكن هذا لن يحصل مجدداً. قبل أن تتمكّن روز من الاعتراض على هذه الرؤية المريرة أضاف ماثيو: «قلت لأختك إنني لو أردت إقامة علاقة معها، لفعلت حين جاءت إلي من قبل».

- لا تعتقد أن ريبيكا كانت تتصرف بصورة طبيعية حين...

توقفت روز عن الكلام فجأة، وهي تتحرك بعدم ارتياح في كرسيها تحت تأثير نظرات ماثيو الساخرة.

أقحم ماثيو كلماته مساعداً روز: «حاولت إغوائي. أظن أن هذه هي الكلمة التي تفتشين عنها».

وأضاف: «لا تقلقي... كانت ريبيكا متحمّسة لتخبرني الحقيقة. من الواضح أنها لم تكن في عقلها السليم حينها، لأنني لست من النوع الذي يعجبها».

امتنعت روز عن نعت أختها بالكاذبة. بنظرها، ماثيو من النوع الذي يعجب كل النساء.

- طمأنتها أن هذا الشعور متبادل، وأن سبب رفضي لما عرضته عليّ هو أنني «لم أكن» و «لست» منجذباً إليها.

التوت شفتا روز قليلاً فيما أفصح ماثيو: «بدا لي أن ريبيكا لم تصدقني».

ولا روز أيضاً، لم تكن روز قادرة على التصديق أنه لم ينجذب إلى ريبيكا. بغض النظر عن اعتراضاته، بدت مقتنعة أن ماثيو مفتون بريبيكا، أليس كل الرجال كذلك؟

قال ماثيو كأنه يحدث نفسه: «ذاك شيء لا تشابهان فيه..».

راح يمرر طرف سبّابته بنعومة بالغة على التواء شفة روز العليا، ما جعل من الصعب عليها أن تتكلم على الإطلاق، لكنها استطاعت أن

تقول بصوت أجش: «ما هو ذاك الشيء؟».

ماثيو يعرف حق المعرفة تأثيره على روز. لكن أتراه أدرك أنها واقعة في حبّه؟ تنهدت من جديد. إن لم يكن ماثيو يحبها فسوف تنتظر أن يحصل ذلك، إلا أن الأمر قد يتطلب بعض الوقت.

- يبدو أن أختك تظن أنها لا تقاوم أمام الرجال.

لم يكن ما يقوله خبر جديد بالنسبة لروز.

- أنتِ... من جهة أخرى...

ارتسمت على وجهه ببطء ابتسامة فاتقة الرقة جعلت قلب روز يسارع دقاته.

همست تسأله: «ماذا عني؟».

لا يضرها إن سمعته ولو أنها تعتقد أن لا شيء من هذا صحيح. كل ما يهدف إليه ماثيو هو أن يبرهن أن الطفل طفله، ويتأكد من أن التاريخ لا يعيد نفسه.

سرعان ما أبدى ماثيو رأيه وفي صوته بحة أجشة: «أنتِ يا حلوتي... لا تملكين أدنى فكرة عن تأثيرك على الرجال».

ليس تأثيرها على الرجال ما تهتم روز له، بل تأثيرها على رجل واحد فقط.

انتقلت يد روز إلى معدتها، هل سيرث طفلهما ملامحه المدهشة؟

- اسمع! لا تزعجني فكرة أن ريبيكا هي الأكثر جاذبية، ولمعلوماتك، لا أحلم مطلقاً بأن أقصيك عن حياة طفلك.

ارتفعت زاويتا فم ماثيو في ابتسامة تركت عينيه الرماديتين خاليتين من أي لمحة شفقة، وقال: «أود أن أراك تحاولين».

رفعت روز يديها إلى الأعلى، ثم تمسكت بقوة بتنورة ثوبها، ووقفت وهي تقول: «آه! حباً بالله، أحاول أن أكون لطيفة وماذا أحصل في المقابل؟ روح قتالية قوية تبحث عن المشاكل».

- أتتوقعين مني ألا أتحدّاك حين تتفوهين بالحماقات؟

اعترضت روز فيما مرّر ماثيو يداً غاضبة في شعره: «أنا أقصد ما قلته».

وأضافت: «لا أحاول أن أقصيك، يمكنك أن تكون جزءاً...».

- من قال لكِ إن ريبيكا هي الأكثر جاذبية؟

- ظننت أنك هنا بسبب الطفل. تبدو مهتماً أكثر بريبيكا.

- أنا هنا بسبب الطفل... لكن الأهم هو أنني هنا لأنني لا أقدر...

توقف ماثيو وتفحّص وجهها ثم وقال: «يا إلهي! أنت تغارين!».

- لم أكن قط غيورة من ريبيكا سابقاً، لم يكن لدي مانع يوماً من أن تكون ريبيكا هي الأكثر جاذبية بيننا.

- هذه تفاهات، وأنت تعرفين ذلك.

اشتد توتر فك روز، وردّت: «كيف يمكنك أن تعلم؟ ليس لك أخ توأم. تظن أننا بصفتنا متطابقتين، ما عدا الخمسة عشر باونداً، تكون الأخرى جذابة إذا كانت الأولى كذلك. لا تتعلق الجاذبية بالمظهر فحسب... بالرغم من أنها لن تتأذى إذا أصبح جسمها بقياس ثمانية».

سمع ماثيو كل ما قالته روز لكن بدا نفاد صبره واضحاً فسألها: «هل انتهيت؟ هل هذه نهاية المحاضرة؟ أتظنين أنني لا أعلم أن هذه الأشياء ليست سطحية؟».

ابتلعت روز ريقها. أرادت أن تسمع الصدق، وليس من المنطقي أن تنجرح حين حصلت عليه.

- أنا متأكد من أن أختك امرأة لطيفة جداً، لكن حتى لو حاولت أن تخبىء ذلك المظهر الهزيل، لن يتحسّن مزاج نهاري إذا سمعت صوتها.

هبط فك روز، وقالت: «لكن ريبيكا تتمتع بالجسد المثالي».

خالفها ماثيو بشدة قائلاً: «لا!».

وتابع: «أنت هي التي تتمتع بالجسد المثالي».

جاء اعتراض روز تلقائياً لكن ليس شديداً، فيما قرأت الشوق في تعبير ماثيو المتوتر. وقالت: «أنا واقعية فحسب».

هزّ ماثيو كتفيه هزة معبّرة فرنسية الطابع وقال: «لِمَ علي أن أكذب، روز؟ قلت لي إنك ستعطينني ما تظنين أنني هنا لأجله».

- أتقول إنك لست هنا بسبب الطفل؟

لم تستطع روز أن تبقي النبرة المرتجفة بعيدة عن صوتها وهي تضيف: «إذا كان الأمر كذلك، لِمَ انتظرت عشرة أسابيع؟».

عشرة أسابيع أمضتها هي بالانتظار المشوب بالأمل، ثم واجهت الحقيقة في النهاية: ماثيو لن يأتي إليها.

وافقها ماثيو بهدوء: «الطفل هو جزء من سبب قدومي لكن ليس السبب كله».

مرّر يداً على عينيه وتنهّد، وهو يعرف تماماً كيف يبدو الأمر. تابع شارحاً: «عقدت النية على أن أتبعك في اليوم التالي، لكن...».

تصلّب وجه روز فيما انزلقت عينا ماثيو عن وجهها. بدا من الواضح أنه لم يستطع أن ينظر في عينيها وهو يبرر تأخيره عنها.

سألته: «هل حصلت مشكلة ما؟».

- نعم. منذ ثماني سنوات، وقع لي حادث.

ارتفع رأس ماثيو، وابتسم بعدم ارتياح متابعاً: «حادث مهني».

لم تبتسم روز في المقابل. فكرة أن ماثيو يخاطر بحياته على حلبة سباق لم تبعث البسمة على وجهها، بل جعلت عضلات معدتها الحساسة تنقبض. قام ماثيو بحركة موجهة قليلاً إلى ظهره وقال: «نجوت منه آمناً تقريباً؛ بضعة جروح وبضعة أضلاع مكسورة، و... كسر طفيف في العمود الفقري».

رأى ماثيو عيني روز تتسعان خوفاً، فأضاف بسرعة: «كان الضرر

بسيطاً ولا يستوجب العلاج، فقد شفيت بعد مدة قصيرة، وبدا كل شيء مستقراً».

ابتلعت روز ريقها، وقلبها ينبض بقوة وسألته: «وهل تغيّر شيء؟».

- شعرت بالآلام من جديد.

في الواقع عاوده الألم حين راح يضرب قبضة يده تكراراً بالحائط الحجري لأنه سمح للمرأة التي أحبّها أن تتركه من دون عراك. أضاف: «وحين ركبت المروحية في اليوم التالي لألحق بك...».

قالت روز متسائلة: «لحقت بي؟».

- أنا أحمق بما يكفي لأسمح لك بالذهاب، لكنني لست أحمق إلى هذا الحد. بالطبع لحقت بك، يا حبيبتي. لكن حين وصلت إلى أثينا، شعرت بخدر بسيط في يدي.

راقبت روز ماثيو والرعب يجتاحها.

- ساءت الأمور في الواقع بسرعة كبيرة.

لا شيء في نبرته ألمح إلى الرعب والاشمئزاز اللذين شعر بهما حين خذله الجسد الذي ظنه قوياً، ما أجبره على التسليم باحتمال بقائه على تلك الحال. أكمل شارحاً: «اتضح أن الكسر أصبح يضغط على بعض الأعصاب».

حين قال للأطباء إنه لا يستطيع إجراء عملية جراحية لأن ثمة أشياء عليه فعلها، أخبروه بصراحة فظّة أن التأخير قد ينتج عنه ضرر دائم. ذكرها ماثيو بابتسامة ملؤها الاستخفاف: «أفضل جرّاح وأفضل عملية تأهيل كانا في نيويورك، وأنا من عائلة ديمتريوس... نحصل على الأفضل دائماً».

- هل كنت في المستشفى؟

شعرت روز بأنها مخدّرة عاطفياً، فيما جاهدت لتستوعب ما يقوله. بدأت تلاحظ للمرة الأولى تفاصيل فوّتتها خلال الصدمة الأولى لرؤيته.

على الرغم من تأنقه المعتاد، بدا ماثيو وكأنه لم يحلق ذقنه منذ يومين، وقد ظهرت ظلال هلالية الشكل لم ترها روز قط من قبل تحت عينيه العميقتين. أبرزت هذه الظلال لون عينيه غير العادي، وجعلتها تبدو أخّاذة الجمال. كما اكتسبت العظام القوية المنحوتة بأناقة لوجهه الضيق البيضاوي حافة أكثر حدّة، مانحة عظام خدّيه نتوءاً يشبه السكين.

ماثيو مريض، مريض حقاً، ولم تكن روز هناك بقربه.

وافق ماثيو، وهو يهزّ رأسه إلى الأمام والخلف: «الفترة قصيرة».

وأضاف: «شرفني أندريوس بزيارته، بالرغم من أنه أمضى معظم الوقت يخبرني أن ساشا قبلت مكاناً في السوربون لأنني حطمت قلبها».

بالكاد سمعته روز، فقد كان رأسها يطنّ. سألته: «كنت في المستشفى ولم أعلم؟ لَمْ تخبرني!».

راح صوتها يرتفع تدريجياً مع كل إضافة تنم عن عدم تصديقها قبل أن تتنهد بصوت أجش وتضيف: «ولديك الجرأة لتقول إنني أعني لك شيئاً؟».

- أخبرك؟

مرر ماثيو يده في شعره الداكن وتابع: «كيف يمكنني أن أخبرك؟ على الرغم من أن الطبيب الذي أجرى العملية بارع، وهو يقوم بعشرات العمليات المماثلة أسبوعياً، إلا أنه لم تكن من ضمانة أن العملية ستنجح، كان يمكن أن أصاب بالشلل».

تشنج وجهه الجذاب فيما ألقت عيناه اللامعتان نظرة خاطفة على وجهها. سألها: «كيف يمكنني أن أطلب منك أن تقبليني هكذا، روز؟».

عارضت روز بشراسة: «كيف يمكنك أن تقول هذا؟ لم أكن لأعتبرك... كيف يمكن أن تفكر للحظة أن ذاك قد يغيّر مشاعري؟

يمكنني أن أقتلك لقيامك بهذا لوحدك».

بدأت روز تشعر بقوة بتنهيدة عميقة من أعماق داخلها، وأردفت: «كيف خطر على بالك أن هذا قد يهمني، ماثيو؟».

- هذا يهمني أنا، أود أن أكون رجلاً كاملاً لكِ.

أخذ ماثيو رأس روز بين يديه، وتوسل إليها: «أرجوك، لا تبكي».

وأضاف: «ابتسمي! حلمت بابتسامتك طوال هذه الأسابيع. إذا مرّ يوم ولم أر ابتسامتك، أشعر أنني لا أعامَل بإنصاف، ولا أحصل على ما أستحق، روز».

مع خدين مبللين بالدموع، وقلب ممتلىء بالحب، بالكاد استطاعت أن تأخذ أنفاسها، وبالكاد تمكنت من الوقوف بثبات قبل أن تجد ركيزة تتشبث بها. أطبقت أصابعه الدافئة على أصابعها، ووجدت يدها مشدودة إلى صدره.

خارج الباب، سمع صوت جهاز الاتصال يدوي بالإضافة إلى صوت أقدام تجري، لكن روز لم تلاحظ كل هذا الصخب. وسألته: «أتحب ابتسامتي؟».

- أحب ليست هي الكلمة الصحيحة...

ابتلعت روز ريقها، وهي ما زالت غير قادرة على تصديق ما تراه مطبوعاً في تلك الملامح الصارمة الجميلة.

- لطالما اعتقدت أن حياتي مثيرة ومثمرة.

ظهرت على زاويتي شفتي ماثيو لبرهة ابتسامة يسخر فيها من نفسه فيما هو يتأمل سذاجته. تابع يقول: «لطالما فكرت أنَّ الحاجة إلى أحدهم هو ضعف، أما الآن فأدركت أن العكس صحيح. أن تهتم لأمر أحدهم، وتضع بين يديه قدرة الجرح والشفاء، أمر يتطلب القوة وربما القليل من الجنون».

امتلأت عينا روز بالدموع العاطفية وهي تطرف بعينيها تجاهه،

وسألته: «تحتاج إلى أحد... أنا...؟».

- أنت مزعجة وعنيدة بطريقة سخيفة ومحبوبة أيضاً. عرفت أنني أحببتك منذ البداية تقريباً، كنت خائفاً جداً فحسب لأعترف لنفسي بذلك.

مرّر إصبعاً على تجعيدة في وجه روز بين حاجبيها الناعمين، وهزّ رأسه إلى الأمام والخلف قائلاً: «قبل أن ألتقي بك، كنت متعجرفاً بما يكفي لأتخيل أنه يمكن لرجل أن يختار مَن يحب».

- إذاً أنت تحبني بالرغم من أنك تظن أن هذا ليس أمراً جيداً؟

وأضافت: «لأنني لا ألائم حياتك».

هزّ رأسه يميناً ويساراً، ومرّر يده بتثاقل على فكه المكسو بالشعيرات، وقال لها: «أنتِ حياتي. تعرفين هذا بالتأكيد؟».

جالت عيناه المليئتان بالشك على وجهها: «عليك أن تعرفي هذا روز».

علقت روز، وهي تضحك باستغراب: «لا أظن أنني أعرف أي شيء، غير أنك تبدو مريعاً».

وأردفت: «أعرف أنك لا تريد نصيحتي، لكن ألا يجب عليك أن تكون في المستشفى؟».

ردّ ماثيو عليها، مغطياً يدها بيده: «ليست لديك فكرة عمّا أريد».

ثم تأوه، رافعاً يدها إلى شفتيه وأضاف: «يا إلهي! أعرف أنني تصرفت كأحمق كبير، لكن ليست لديك فكرة عن الصدمة التي تلقيتها حين اكتشفت أنك عذراء...».

أغمض عينيه جراء الذكرى، وأطبق أصابعه حول أصابع روز حتى أجفلت، وبينما راح يهمهم معتذراً، أفلت أصابعها من قبضته.

- الحقيقة هي.. كنت أقول لنفسي إن الأمر مجرد انجذاب جسدي وإنك تشعرين بالطريقة نفسها، لكن حين اكتشفت ما منحتني إياه من

هدية قيّمة، كان علي أن أواجه حقيقة مشاعري تجاهك.

ترنّح قلب روز، وهي ترى الصدق الذي يشع من عينيه اللامعتين. حثته على المتابعة: «استمر في الكلام، ماثيو».

قال وهو يراقب وجهها: «أحبّك روز، وأريد أن نبقى متزوجين».

بصرخة واحدة، ارتمت بين ذراعيه فاحتضنها ماثيو وراح يعانقها بنعومة وشغف، ما بدّد كلياً كل شكوكها وترددها.

قالت له حين انفصلا: «أتعلم؟ سيتطلب الأمر الكثير من تلك...».

أصبحت عينا روز داكنتين أكثر وهي تتبع خط فكه بإصبعها، وحذّرته بصوت أجش: «... الكثير الكثير».

وتابعت: «... لمحو ذكرى الأسابيع الماضية».

انزلقت نظرته الجذابة على وجهها، وقبل أن تدرك نيته، وضع خاتم الزمرد مجدداً في مكانه: «سأقوم بأفضل ما عندي».

ثم قال برضى: «هذا هو المكان الذي ينتمي إليه».

- وإلى أين أنتمي أنا؟

- أتسألين؟ إلى قلبي طبعاً.

فيما جذب ماثيو روز إليه، صدرت عنها ضحكة مفاجئة.

- فكّرت... ماذا سيقول والدك حين يكتشف أننا سنبقى متزوجين؟

- وهل يهم؟ لقد فرقتنا أميال، إلاّ أنك لم تكوني للحظة واحدة بعيدة عن قلبي وأفكاري.

مفتونة باعترافه الرومنسي، لفت روز ذراعيها حول عنق ماثيو فيما راحت تتأمل عينيه وعيناها مليئتان بالحماسة. قالت: «العملية... لا أريد أن يؤلمك الجرح...».

وعدها ماثيو بنظرة جعلت الحرارة تدب في خديها: «الدي ندبة سأريك إياها لاحقاً».

وأضاف بصرامة وهو يهز كتفيه: «لكن... أنا لست ضعيفاً أو قابلاً للانكسار. سأسبب للمكشاف المعدني في المطارات بعض الإرباك، إلا أن العملية نجحت تماماً».

كافحت لكي تحتفظ بسيطرتها على نفسها. لف ماثيو يديه حول وجهها، وقال: «أتعلمين؟ لجزء من الثانية، حين دخلت ريبيكا من الباب، ظننتها أنتِ».

شعر ماثيو بالفرح يتدفق في أعماق روحه. تلت ذلك الخيبة المريرة والإحساس بالخسارة حين أدرك خطأه. أضاف: «ثم عرفت أنها ليست أنت، فكأنما الجنة انتزعت مني. أنا غير كامل من دونك، روز».

غطّت روز فمها بيدها بينما تدفقت الدموع إلى عينيها، وعلّقت: «أرجوك، لا تقل هذا إذا كنت لا تعنيه، ماثيو».

- لم أكن أكثر صدقاً مما أنا عليه الآن في حياتي كلها.

ذلك الصدق التام الذي يرنّ في عبارته لم يكن فيه مجال للشك: «في حياتي، أحببت أشخاصاً...».

انزلقت عيناه عن عيني روز فيما قال بصوت أجش: «أمي...».

راقبت روز العضلات في حنجرة ماثيو البنية اللون تعمل وهو يبتلع ريقه، ويكافح بوضوح ليسيطر على عواطفه القوية. بقلب متألم مدت روز يدها والتقطت يده. فيما رفع ماثيو يدها إلى فمه، ارتفعت نظراته واتصلت بنظراتها العابقة بالعاطفة. الرقة في تعبيره وفي حركته جعلت حنجرة روز تنقبض من شدة التأثر.

حين أخفض ماثيو يد روز، لم يطلق سراحها، لكنه أبقاها مطوّقة بيديه الكبيرتين.

- أنت تذكرينني بها أحياناً.

- أحقاً؟

هزّ ماثيو رأسه إيجاباً، وارتفعت زاوية فمه في ابتسامة مائلة عصرت

قلب روز، وأجاب: «ليس بالمظهر، كانت سمراء جداً».

جالت نظرات ماثيو على شعر روز الفاتح، وسمح لخصلاته الحريرية أن تتموّج بين أصابعه، ثم قال ومسحة من الظلال تكسو وجهه: «كانت محاربة مثلك وعنيدة أيضاً، وكرامتها أحياناً...».

أقر ماثيو وهو يمرر يداً في شعره الداكن: «... جعلتها تعاني أكثر مما يجب، لكنها لم تكن غيورة أو عصبية».

وأردف: «ما أحاول أن أقوله روز هو إنني أحببت بعض الأشخاص... أمي، ثم زوجة أبي وأخي... وخسرتهم كلّهم».

أكمل بنبرة ملؤها الأسى: «كان ذاك مؤلماً جداً، فقررت أن أتجنب تلك المشاعر، لذا أقفلت على عواطفي».

ارتاحت نظرة ماثيو المتأمّلة على وجه روز، وولّت عنه الكآبة، ثم أردف: «... ثم ظهرت أنت، ولم تعد لدي أي مقدرة على السيطرة على مشاعري...».

بدا غير قادر على مقاومة مشاعره القوية. ضمها إليه في عناق حميم أودعه عمق أحاسيسه وحبه الخالص. عناق استنفد أنفاس روز من جسدها.

حين انفصلا عن بعضهما، شعرت روز برأسها يدور، إلا أن وجهها كان ينضح بابتسامة رضى.

لهث ماثيو في صوت ينبض بعاطفة طبيعية قوية: «ما شعرته تجاهك يا صغيرتي ليس له حدود... عرفت أن خسارتك... لا تطاق، وهكذا..».

مرّر ماثيو يداً على وجهه ليخمد نار ذكرى الأسابيع العشرة الأخيرة. وأردف: «سأظل ممتناً لأختك على الدوام لأنها نقلتني من جحيمي الخاص».

أقرت روز: «وأنا أيضاً».

وأضافت: «لا أستطيع أن أتخيل ماذا قال والدك عنها».

- ذكر أن الأمر سيسوء ومن الأفضل أن نبقى معاً.

سخرت روز، وهي تمرّر يداً حنونة محبة على خدّه الجذاب: «من الجيد معرفة أنه يستحسن الأمر».

أقر ماثيو وهو يطبع قبلة دافئة في راحتها الصغيرة: «قد تكون كلمة استحسان قوية قليلاً».

حين اتُّهم ماثيو بإهمال مسؤولياته الأبوية، ردّ أن ذاك التعليق لم يكن إلاّ رياء.

في وقت لاحق، حصل نقاش مرير بين الأب وابنه. فاض الغيظ الملتهب وتم التطرق حتى إلى حادثة استراق السمع التي حصلت منذ سنين عدة. اتهم أندريوس ماثيو بأنه خسيس، ناكر للجميل، غير قادر على إظهار العاطفة، وبأنه يفتش دائماً عن فرصة ليقابل كرمه بمعاملة فظّة. في النهاية، رفض ماثيو المساعدة وأعلن أنه سيرحل إلى الأبد، وكان ليفعل، إلا أنه عاد ليقول رأياً نهائياً.

لم يتفوه ماثيو برأيه هذا، ولم يغادر فجأة إذ فوجيء بأندريوس ديمتريوس، الرجل الذي يخيف الرجال الأقوياء بنظرة واحدة، واقفاً وقسمات وجهه ملتوية بالحزن الشديد، والدموع تنهمر بغزارة على خدَّيه.

توقف ماثيو لبرهة قبل أن يتحرك ليهدئه. أصغى إليه وهو يقول له إنه لو بقي خارج الباب لفترة أطول بكثير يومها لسمع بقية الحديث.

حديث أقرّ أندريوس فيه إلى زوجته أنه يدرك أنه يلوم الطفل بشكل غير عقلاني على آثامه هو، وأن شعوره بالذنب هو الذي جعله غير قادر على إظهار عاطفته لابنه الأكبر، بالإضافة إلى اعتقاده أن الصبي يكرهه. من المبالغ فيه القول إن مشاكل الماضي انتهت، لكن ما حصل كان البداية، وهذا جيد لأن ماثيو افترض أن روز لن ترتاح حتى تراهما

يتبادلان القبل ويتصالحان.

ضحكت روز وعلقت: «إذاً أنت هنا لأن والدك يقول إن...».

أصبحت عينا روز داكنتين أكثر فيما دمدم ماثيو: «أنا هنا لأنني أعشق كل شعرة على رأسك الرائع، لقد اكتشفت اكتشافاً مثيراً لتوي».

سألته روز: «أحقاً فعلت؟».

- اكتشفت أن لا عودة عن هذا الزواج.

وضع يداً على خصرها، فأطلقت روز صرخة اعتراض، وتراجعت محذرة ماثيو: «إبقَ بعيداً عني. نحن في مستشفى وقد تأتي أخصائية التصوير الصوتي في أي لحظة».

جلست روز على الأريكة مجدداً وأعادت ترتيب البطانية بأناقة على قدميها، وحذّرته: «أنت.. ابقَ مكانك».

نظر ماثيو إليها، وومضة مزعجة لكن مسلية تبرق في عينيه وسألها: «ألا تظنين أن طفلنا يسعده أن يبقى والداه متعانقين؟».

راقبها ماثيو وهي تحمّر خجلاً... يا إلهي، إنه يحب ذلك الاحمرار.

- لا! ليس في المستشفى.

امتلأت عينا روز بالشغف فيما وضع ماثيو يداً على بطنها وقال: «هذا الطفل... هل أنت سعيدة به يا حبي؟».

أجابته بصدق صريح أبعد آخر أثر للشك عن وجه ماثيو: «أكثر ممّا تتصوّر».

قال ماثيو، بعد أن سحب كرسياً ووضعها بالقرب منها: «إذاً أخبريني عن التصوير الصوتي؟ هل الصورة ثلاثية الأبعاد؟ هل نحصل على شريط فيديو مصور؟ هل...؟

رفعت روز يدها ضاحكة، وقالت: «آه! لا، يبدو أنك من أولئك الرجال الذين يتدخلون في كل شيء. أليس كذلك؟».

أمسك ماثيو يد روز الصغيرة إلى شفتيه، وأقسم لها بوقار: «وظيفتي هي أن أحميك يا صغيرتي، وسأفعل...».

ثم تابع: «حتى آخر نفس في جسدي هذا».

- آه، ماثيو!

عادت أخصائية التصوير الصوتي بعد بضع دقائق، وقفت برهة مصدومة على عتبة الباب قبل أن ترجع بخطواتها بهدوء.

انتظرت وقتاً كافياً قبل أن تعود أدراجها محدثة بعض الضجة كي يتمكن الزوجان العاشقان من سماعها تقترب.

ابتسمت الأم العتيدة المتوردة الوجنتين والمبعثرة الشعر وقالت بذكاء: «كنا نتساءل فحسب ما الذي حدث لك».

ابتسم شريكها وقال: «ليس هذا ما كنتِ تتساءلين عنه، يا ملاكي».

رمقته المرأة الأخرى بنظرة لوم، لكنها تخلّت عن تحفظها حين رأت الدموع في عيني ماثيو وهو يرى الصور الأولى لطفله غير المولود.

- نحن فريق رائع!

تنهدت روز تنهيدة اطمئنان، ووافقت، وهي لا ترى حدوداً لما يمكن أن ينجزاه معاً: «تماماً».

شعرت أنها المرأة الأكثر حظاً في هذه الحياة.